حديث
إن الله يبعث لهذه الأمة

كل مائة سنة من يجدد لها دينها

وقفات وتأملات

إعداد
أ. د. فالح محمد بن فالح الصغير
الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

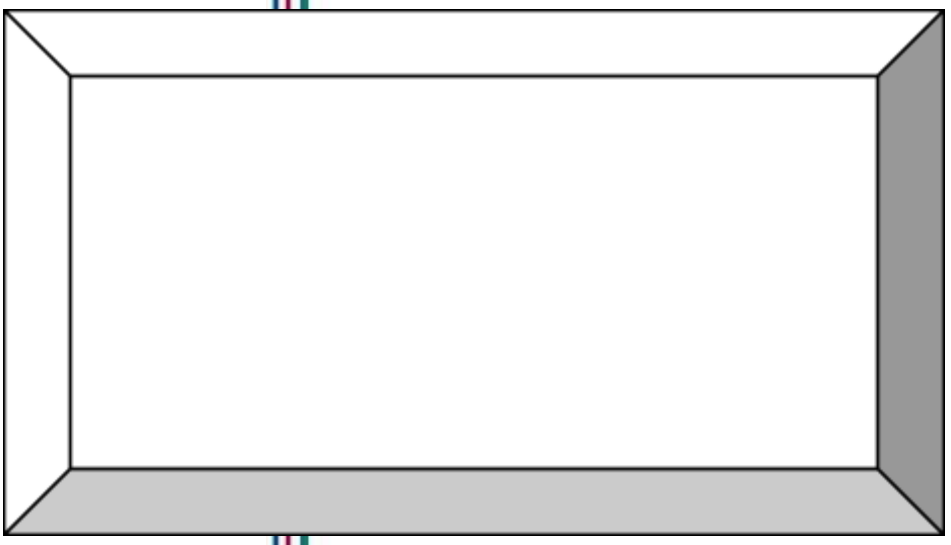

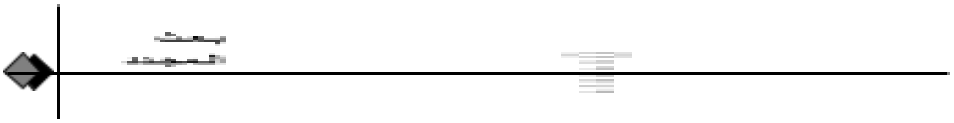

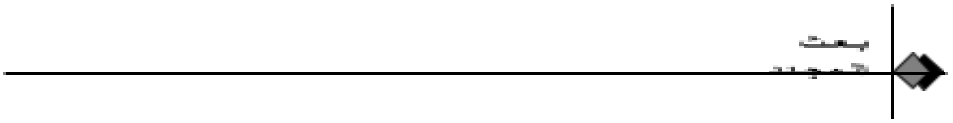

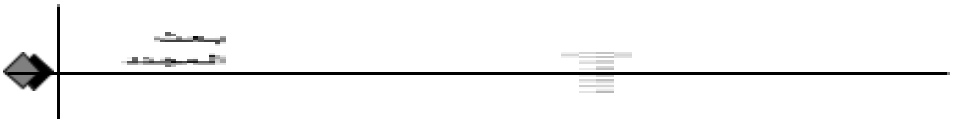

المقدمة

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على رسوله الأمين, وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من نعم الله العظيمة وآلائه الجسيمة علينا جميعًا أن خلقنا في أحسن تقويم, وأورثنا خلافة الأرض, وجعلنا خير أمة أخرجت للناس, وشرع لنا أفضل شرائع دينه، وأرسل إلينا أكرم رسله، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فمن أراد أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فعليه أن يتبع شريعته، ويدخل في دينه؛ كما قال تعالى: (ھےےۓۓ ﮢ ﮣﮤﮥﯓ ﯔﯕ ﯖ ﯗﯘﯙ) [سورة البقرة: 208]، وإن الدين عند الله الإسلام، كما قال تعالى: (ﭸﭹﭺﭻﭼ) [سورة آل عمران:19]، ومن ابتغى غيره فهو من الخاسرين، كما قال تعالى: (ﭭﭮﭯ ﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷ) [سورة آل عمران:85].

فهذا الدين دين كامل وشامل، ويتميز عن سائر الأديان والنظم والنظريات في القديم والحديث بما لديه من مصادر موثقة للتشريع، تلك المصادر التي تستمد قوة بقائها وصلاحيتها من الله تعالى، ورأس هذه المصادر الكتاب والسنة.

ومن هنا فقد ندب الله تعالى إلى الدعوة إلى هذا الدين عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا، وجعل هذه الدعوة مبنيةً على هذين المصدرين، فعلى الداعي أن يستهدي بهما، ويستنير بهما في مسيرته الدعوية حتى لا يضل الطريق, وتضيع جهوده فتكون هباءً منثورًا.

وبما أن الله قد تكفَّل لهذا الدين بحفظ مصدريه الأساسيين؛ الكتاب والسنة، فلا يشينه كيد الكائدين، ولا انتحال المبطلين، ولا يضره من خذله,

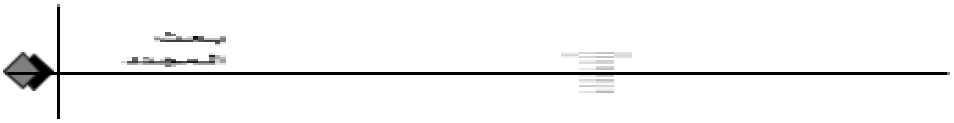

ولا من عاداه؛ فهذا الدين باقٍ إلى يوم القيامة، كما جاء في الحديث: عن جابر بن سمرة، عن النبي غ أنه قال: «**لن يبرح هذا الدين قائمًا يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة**»[1]، وفي رواية ثوبان: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق, لا يضرهم من خذلهم, حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**»[2].

وإذا طرأ عليه التغيير أو التبديل، أو حاول دعاة الشر وأعداء الدين النيل منه، أو الإنقاص منه، أو الزيادة عليه والإحداث فيه ما ليس منه, أو مسخه والتشويه من صورته، يقيِّض الله تعالى من عباده العلماء الصالحين من يميِّزون بين الصحيح والسقيم، وبين الغثِّ والسمين, فيظهرونه للناس أبيض نقيًا كالشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب؛ كما جاء في الحديث: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[3]، ومن هنا اخترنا هذا الحديث ليكون موضوع بحثنا في هذا الكتاب.

ولما كان الأمر كذلك؛ كان لا بد من إيضاح المنهج والطريق للتجديد، ومن هو المجدد؟ وما هي الصفات التي يجب أن يتحلّى بها المجدد؟ وما ماهية التجديد؟ وهل يلزم أن يكون كليًّا أو في جانب من الجوانب؟ فجاءت هذه الكلمات مبيِّنةً معالم هذا الأصل بشيء من الإيجاز، مُسْتَخْلَصَةً من كلام الأئمة الأعلام رحمهم الله تعالى، وتأتي هذه الأهمية العظيمة في مثل هذه الأوقات الحرجة التي توالت فيها المحن والشدائد على الأمة، واختلطت فيها المفاهيم بين غلوٍ وتقصيرٍ، وإفراطٍ وتفريطٍ، فوجب البيان مستندًا لحديث الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام. لكي يرجع الضالّ

---

[1]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله غ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، برقم: (1922)، (ص: 858).

[2]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله غ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، برقم: (1920)، (ص: 857).

[3]() سيأتي تخريجه مفصلًا.

إلى الرشد، والمفرط إلى الصواب، فيختار منهجًا بين الغلو والتقصير، وبين الإفراط والتفريط، فخير الأمور أوسطها.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات, وأن يجعلها تنير الدرب للدعاة، آخذة بيدهم إلى المنهج القويم، منهج النبي غ وسلف الأمة الصالحين، حقَّق الله الآمال، وسدَّد الخطى، وعلَّمنا ما ينفعنا، ونفعنا بما علَّمنا إنه عليم حكيم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه
أ. د. فالح بن
محمد بن فـالح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها

faleh@alssunnah.com

□◄◄ ►►□

نص الحديث

قال الإمام أبو داود رحمه الله تعالى:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ المَهْرِيُّ, أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ, أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي أَيُّوبَ, عَنْ شَرَاحِيلَ بْنِ يَزِيدَ المُعَافِرِيِّ, عَنْ أَبِي عَلقَمَةَ, عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - فِيمَا أَعْلَمُ - عَنْ رَسُولِ الله غ قَالَ:

«إِنَّ
دِينَهَا اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا».

قَالَ أَبُو دَاوُد: «رَوَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ شُرَيْحٍ الإِسْكَنْدَرَانِيُّ لَمْ يَجُزْ بِهِ شَرَاحِيل».

سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب: ما يذكر من قرن المائة، برقم:] (4291)، ص: (602)].

الوقفة الأولى

تخريج الحديث

هذا الحديث رواه:

- **أبو داود في سننه،** كتاب الملاحم، باب: ما يذكر من قرن المائة، برقم: (4291)، (ص: 602)، عن أبي هريرة ا.
- **والحاكم في المستدرك على الصحيحين،** (4/522)، بلفظ: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة .....» عن أبي هريرة ا. وذكره الذهبي في تلخيص المستدرك، وسكت عنه.
- **والخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد)،** (2/61-62)، بلفظ: «إن الله يبعث إلى هذه الأمة.....».

وأيضًا نقل عن الإمام أحمد بن حنبل قوله: «إن الله تعالى يقيض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عن رسول الله غ الكذب، فنظرنا فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي ب» [تاريخ بغداد، 2/62].

- **وابن عدي في الكامل,** (1/123), ونقل عن محمد بن علي بن الحسين قال: سمعت أصحابنا يقولون: «كان في المائة الأولى عمر بن عبد العزيز، وفي الثانية محمد بن إدريس الشافعي».
- **والبيهقي في معرفة السنن والآثار،** (1/137).
- **وذكره السخاوي في كتابه: المقاصد الحسنة،** (ص: 203)، برقم: (238). وعزاه لأبي داود والطبراني في الأوسط.
- **والنبهاني في الفتح الكبير،** (1/353). وعزاه لأبي داود، والحاكم والبيهقي في المعرفة.

الحكم على الحديث:

قال السخاوي: «وسنده صحيح, ورجاله كلهم ثقات... وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث»([4]).

وقال المناوي في فيض القدير: «قال الزَّين العراقيّ وغيره: سنده صحيح»([5]).

وقال السيوطي في مرقاة الصعود: «اتفق الحفاظ على تصحيحه, منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل»([6]).

وقال العلقميّ في شرح الجامع الصَّغِير: «قال شيخنا: اتفق الحفاظ على أنه حديث صحيح. وممن نصّ على صحته من المتأخرين: أبو الفضل العراقي وابن حجر, ومن المتقدمين: الحاكم في المستدرك([7]) والبيهقي في المدخل»([8]).

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا يشعر بأَنّ الحديث كان مشهورًا في ذلك العصر, ففيه تقوية للسند المذكور، مع أنه قويّ لثقة رجاله»([9]).

وقال الألباني: «والسند صحيح، ورجاله ثقات، رجال مسلم»([10]).

وقال شمس الحق العظيم آبادي: «وَالحَاصِل أَنَّ الحَدِيث مَرْوِيّ مِنْ وَجْهَيْنِ, مِنْ وَجْه مُتَّصِل وَمِنْ وَجْه مُعْضَل؛ وَأَمَّا قَوْل أَبِي عَلقَمَة فِيمَا أَعْلَم عَنْ رَسُول الله غ، فَقَالَ المُنْذِرِيُّ: الرَّاوِي لَمْ يَجْزِم بِرَفْعِهِ.

---

[4]() المقاصد الحسنة للسخاوي، (ص: 203).
[5]() ينظر: فيض القدير للمناوي، (2/ 282).
[6]() نقلًا من كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 267).
[7]() لم نجد في النسخة المطبوعة من المستدرك تصحيح الحاكم لهذا الحديث، فلعله في نسخة مخطوطة اطلع عليها المؤلف.
[8]() نقلًا من كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 267).
[9]() نقلًا من المرجع السابق، (11/ 261).
[10]() سلسلة الأحاديث الصحيحة، (2/150)، برقم: (599).

قُلت: نَعَمْ. لَكِنْ مِثْل ذَلِكَ لَا يُقَال مِنْ قِبَل الرَّأْي, إِنَّمَا هُوَ مِنْ شَأْن النُّبُوَّة, فَتَعَيَّنَ كَوْنه مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيّ غ . وَاَللَّه أَعْلَم»([11]).

□◄◄ ►►□

[11]() عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 267).

الوقفة الثانية

شرح مفردات الحديث

قبل أن نبدأ بمسائل الحديث وقضاياه يحسن بنا أن نبيِّن معاني بعض الكلمات التي تحتاج إلى بيان، **فنقول:**

قوله: «**فِيمَا أَعْلَم**»: الظَّاهر أَنّ قائله أبو علقمة، يقول: في علمي أنّ أبا هريرة حدّثني هذا الحديث مرفوعًا لا موقوفًا عليه[12]

«**يَبْعَث**»: بمعنى يرسل، يقال: بعثت رسولًا، أي: أرسلته، وأصل البعث إثارة الشيء[13] وتوجيهه، يقال: بعثته فانبعث. فيكون المعنى: إن الله يقيِّض لهذه الأمة على رأس المائة مجددًا، أي: إن هذا المجدِّد يتصدى في رأس المائة لنفع الأنام، وينتصب لنشر الأحكام.

«**لِهَذِهِ الأُمَّة**»: أي أمَّة الإجابة، ويحتمل أمة الدَّعْوَة[14]. ورجح المناوي بأنهم أمة إجابة، بدليل إضافة الدين إليهم في قوله: «**دينها**»[15]. وأصل الأمة: الجماعة، مفردٌ لفظًا وجمعٌ معنىً [16].

«**عَلَى رَأْس كُلّ مِائَة سَنَة**»: أي انتهائه أو ابتدائه إذا قلّ العلم والسنّة، وكثر الجهل والبدعة. والراجح آخره: كما قال صاحب عون المعبود بعد سرد أقاويل أهل العلم: «فَإِذَنْ ظَهَرَ حَقّ الظُّهُور أَنَّ المُرَاد مِنْ رَأْس كُلّ مِائَة آخِر كُلّ مِائَة»[17].

واخْتُلِف في رأس المائة هل يعتبر من المولد النَّبويّ أو البعثة أو

---

[12]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 259).
[13]() عمدة القاري للعيني، (7/ 175).
[14]() عون المعبود للعظيم آبادي، (11/ 259-260).
[15]() فيض القدير للمناوي، (1/9).
[16]() المرجع السابق.
[17]() عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، (11/ 262).

الهجرة أو الوفاة؛ قال المُنَاوِيُّ في مقدِّمة فيض القدير: يحتمل من المولد النبوي، أو البعثة، أو الهجرة، أو الوفاة، ولو قيل بِأقربيَّة الثاني لم يبعد, لكنْ صنيع السُّبْكيّ وغيره مصرّح بأن المراد الثالث ([18]).

«**مَنْ يُجَدِّد**»: مفعول «يبعث». أي: مجدِّدًا واحدًا أو متعدِّدًا، و«مَنْ» اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادًا وجموعًا واستغراقًا([19]).

«**لَهَا**»: أي لهذه الأمة المحمدية ([20]).

«**دِينَهَا**»: أي يبيِّن السنّة من البدعة, ويكثر العلم, وينصر أهله, ويكسر أهل البدعة ويذلّهم. قالوا: ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدِّينية الظاهرة والباطنة([21]).

وقال المناوي: «أي: ما اندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن, وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة»([22]).

□◄◄ ►►□

---

[18]() فيض القدير للمناوي، (1/ 9).
[19]() المرجع السابق.
[20]() المرجع السابق، (1/9).
[21]() المرجع السابق.
[22]() المرجع السابق.

الوقفة الثالثة

المعنى الإجمالي للحديث

إن الله تبارك وتعالى خلق الإنسان على فطرة الإسلام، كما جاء في الحديث عن أبي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ؛ كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَل تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» ثُمَّ يَقُولُ: (ﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ ﯪﯫ) [سورة الروم:30](23).

ولكن شياطين الإنس والجن توقعهم في مزالق الشرك والكفر والبدعة والمعصية، كما جاء في حديث آخر عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المُجَاشِعِيِّ: أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُم الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِل بِهِ سُلطَانًا». الحديث(24).

وهذا من حكمة الله تعالى البالغة، حيث أراد سبحانه ابتلاء بني آدم، كما قال تعالى: (ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩ) [سورة الإنسان:2-3]، وقال تعالى: (ﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ) [سورة هود:7].

ولكن إذا تجاوز الماء الرأس، وانتشرت الضلالات والأباطيل، وصار الأمر لأتباع الشياطين، أرسل الله من عباده الصالحين رسلًا وأنبياء يخرجون الناس من الظلمات إلى النور، ومن المفاسد إلى المصالح، ومن الضلال إلى الهدى، فمنهم من بعث بشريعة جديدة، ومنهم من بعث بشريعة

23() صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: (لا تبديل لخلق الله)، برقم: (4775)، (ص: 839).

24() صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة، برقم: (2865)، (ص: 1241).

من قبله، حتى انتهى الأمر إلى خاتم النبيين محمد غ، فختم الله به الرسالات، فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، كما جاء في الحديث: عن أبي هريرة، عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنْبِيَاءُ؛ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»([25]).

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا: أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ»([26]).

ففتح الله به قلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًا، وأعينًا عميًا، ورفعت راية التوحيد على أرجاء المعمورة، ودخل الناس في دين الله أفواجًا، ولكن من سنة الله تعالى في هذا الكون أن لا يبقى شيء على حالة واحدة، فيطرأ عليها بمرور الزمن ما يكدر صفاءها، وتبدأ عوامل الانحراف تتسرب إليها شيئًا فشيئًا، فمن فضل الله على هذه الأمة أن يبعث فيهم على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها، فيبعد عن هذا الدين ما علق به من آراء ضالة، وأفكار شاذة، ومفهومات منحرفة، ويجلي الحقائق الملتبسة، ويحيي الفرائض المعطلة، وينفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. وهذا من عظيم فضله وامتنانه على هذه الأمة.

يقول المناوي :: «وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها بل لا بد من

---

[25]() صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، برقم: (3455)، (ص: 581-582).

[26]() صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: خاتم النبيين، برقم: (3535)، (ص: 595).

طريق وافٍ بشأنها، اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث إجراء لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم»[27].

فهذا الحديث من البشائر العظيمة للمسلمين، حيث إنه يمنح المسلم الصادق ثقةً قويةً بدينه، وطاقة من الأمل الأكيد بنصر الله لعباده المؤمنين، كما يمنحه دفعةً قويةً للعمل والبذل والتضحية رجاء أن يكتب الله له حظًا من أجر المجددين.

وأما قوله: «**على رأس كل مائة سنة**»: يفهم من لفظ الحديث: أن الله يبعث في كل قرن من الزمان من يجدد الدين لهذه الأمة، والرأس يطلق على أول الشيء وعلى آخره.

قال ابن منظور: «رأس كل شيء أعلاه، والجمع في القلة أرؤس وآراس على القلب، ورؤوس في الكثير»[28].

وقال الجوهري: «قولهم: أنت على رئاس أمرك أي: أوله»[29].

ويأتي أيضًا بمعنى آخر الشيء، كما جاء في تاج العروس: رَأْس الشَّيْء طَرَفه, وَقِيلَ آخِره. وَعَلَيْهِ يحمل حَدِيث ابن عُمَر: «أَرَأَيْتُكُمْ لَيْلَتكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّ عَلَى رَأْس مِائَة سَنَة مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْر الأَرْض أَحَد», فعن عَبْد الله بْن عُمَرَ قَالَ: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله غ ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلَاةَ العِشَاءِ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؛ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ, قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فوهل النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ الله غ تِلْكَ فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ مِنْ هَذِهِ الأَحَادِيثِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ, وَإِنَّمَا قَالَ رَسُولُ الله غ: لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ اليَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ

---

[27]() فيض القدير للمناوي، (1/10).
[28]() لسان العرب لابن منظور، حرف السين، فصل الراء، (4/394).
[29]() ينظر: لسان العرب لابن منظور، حرف السين، فصل الراء، (4/397).

أَحَدٌ؛ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْخَرِمَ ذَلِكَ القَرْنُ»[30].

فَالمُرَاد مِنْ رَأْس المِائَة فِي هَذَا الحَدِيث هُوَ آخِر المِائَة. قَالَ الحَافِظ ابن حجر رحمه الله فِي فَتْح البَارِي فِي تَفْسِير رَأْس مِائَة سَنَة: «مُرَاده أَنَّ عِنْدَ انْقِضَاء مِائَة سَنَة مِنْ مَقَالَته تِلْكَ يَنْخَرِمُ ذَلِكَ القَرْن فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ مَوْجُودًا حَالَ تِلْكَ المَقَالَة, وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِالاسْتِقْرَاءِ, فَكَانَ آخِرَ مَنْ ضُبِطَ أَمْرُهُ مِمَّنْ كَانَ مَوْجُودًا حِينَئِذٍ أَبُو الطُّفَيْل عَامِر بن وَاثِلَةَ, وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْل الحَدِيث عَلَى أَنَّهُ كَانَ آخِرَ الصَّحَابَة مَوْتًا, وَغَايَة مَا قِيلَ فِيهِ: إِنَّهُ بَقِيَ إِلَى سَنَةِ عَشْرٍ وَمِائَةٍ, وَهِيَ رَأْس مِائَة سَنَة مِنْ مَقَالَة النَّبِيّ غ , والله أَعْلَم»[31].

قال صاحب العون: «فَلَوْ لَمْ يَكُن المُرَاد مِنْ رَأْس المِائَة آخِرهَا بَل كَانَ المُرَاد أَوَّلهَا لما عَدُّوا عُمَر بن عَبْد العَزِيز مِن المُجَدِّدِينَ عَلَى رَأْس المِائَة الأُولَى, وَلَا الإِمَام الشَّافِعِيّ عَلَى رَأْس المِائَة الثَّانِيَة, لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وِلَادَة عُمَر بْن عَبْد العَزِيز عَلَى رَأْس المِائَة الأُولَى فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُون مُجَدِّدًا عَلَيْهِ, وَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ وِلَادَة الشَّافِعِيّ عَلَى رَأْس المِائَة الثَّانِيَة, فَكَيْف يَصِحّ كَوْنه مُجَدِّدًا عَلَيْهِ...فَإِذَنْ ظَهَرَ حَقّ الظُّهُور أَنَّ المُرَاد مِنْ رَأْس كُلّ مِائَة: آخِر كُلّ مِائَة»[32].

❐ وقت بعث المجدد:

إن الحديث يشير إلى أن المجدد يبعث على رأس المائة، وقد قال به جمهور العلماء، يقول الكرماني: «قد كان قبيل كل مائة أيضًا من يصحِّح ويقوم بأمر الدين، وإنما المراد من انقضت المائة وهو حي عالم مشار إليه»، فيفهم من قوله أن من الضوابط لكونه مجددًا: أن يبعث على رأس

---

[30]() صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: السمر في الفقه والخير بعد العشاء، برقم: (601)، (ص: 99-100)، وصحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: بيان معنى قوله غ: «على رأس مائة سنة لا يبقى نفس منفوسة»، برقم: (2537)، (ص: 1112).

[31]() فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني، (2/ 75).

[32]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، (11/ 261- 262).

المائة، وهنا ينبغي التفطن لأمر هام، وهو: أن كل من تكلم على حديث: «إن الله يبعث» إلخ إنما يقرره بناء على أن المبعوث على رأس القرن, يكون موته على رأسه, وأنت خبير بأن المتبادر من الحديث إنما هو أن البعث وهو الإرسال يكون على رأس القرن أي أوله، ومعنى إرسال العالم تأهله للتصدي لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام، وموته على رأس القرن أخذ لا بعث. يقول الطيبي: «المراد بالبعث من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور مشار إليه»([33]).

وَقَالَ السُّيُوطِيّ فِي قَصِيدَته فِي المُجَدِّدِينَ:

وَالشَّرْط فِي ذلكَ أنْ يَمْضِي المِائَة يُشَار بِالعلمِ إِلَى مَقَامه
وَهُوَ عَلَى حَيَاته بَيْن الفِئَة وَيَنْشُر السُّنَّة فِي كَلَامه

وَقَالَ فِي مِرْقَاة الصُّعُود نَقْلًا عَن ابن الأَثِير: «وَإِنَّمَا المُرَاد بِالمَذْكُورِ مَن انْقَضَت المِائَة وَهُوَ حَيّ مَعْلُوم مَشْهُور مُشَار إِلَيْهِ»([34]).

وقال ابن الأثير: «وإنما المراد بالذكر من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور مشار إليه»([35]).

فليس المراد أن تكون وفاة المجدد عند نهاية القرن؛ لأن كلمة «البعث» تدل على الإرسال والإظهار، والوفاة قبض وأخذ، بل المراد أن تأتي نهاية القرن على المجدد وهو حي يقوم بعمل التجديد، ويتصدى للإصلاح, قد اشتهر بذلك وعرف عنه. وهذا لا يتأتى غالبًا إلا بعد مضي فترة غير قصيرة، وبعد تقدم السن غالبًا، فلهذا قد تختتم حياة المجدد قريبًا من نهاية القرن.

وتطبيقًا لهذه القاعدة لم يعد السلف كثيرًا من المشهورين في أثناء القرن في عداد المجددين، مثل الإمام أحمد بن حنبل, مع جهوده العلمية

---

[33]() فيض القدير للمناوي، (1/ 12).
[34]() ينظر: عون المعبود للعظيم آبادي، (11/ 260).
[35]() جامع الأصول لابن الأثير، (11/324).

ومرتبته المشرقة لم يذكره العلماء أمثال ابن عساكر, أو ابن الأثير، أو السيوطي، أو الزين العراقي في قائمة المجددين.

فنهاية القرن هي التوقيت الزمني لكل دورة من دورات التجديد، وهو وقت يحتاج إلى التجديد غالبًا، يقول المناوي: «وذلك لأن الله سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل, وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد, ومعرفة أحكام الدين لازمةً إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها، بل لا بد من طريق واف بشأنها, اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث؛ إجراءً لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم»([36]).

كما أن هناك رأيًا آخر، وهو: أن تحديد وقت بعث المجدد برأس المائة ليس المراد منه التخصيص، وإنما ذكر اتفاقًا، وعلى هذا الرأي يمكن أن يكون المجدد في أول المائة، أو وسطها، أو آخرها، وبخاصة أنه قد يكون في أثناء القرن من هو أفضل وأحق بلقب المجدد ممن هو في رأس القرن، ولو كان هذا الرأي مستندًا إلى دليل صحيح كانت دائرة التجديد أوسع، ولدخل كثير من العلماء ممن لم يدركوا رأس المائة في أعداد المجددين، ولكن لم يقتنع بوجاهة هذا الرأي أحد، ولم يجد له أصحابه دليلًا يسنده، ولا ريب أن ذكر رأس المائة أو نهاية القرن مقصود به التحديد؛ إذ لا توجد قرينة تجعل هذا التوقيت قابلًا للاحتمالات المختلفة([37]).

□◄◄ ►►□

---

[36]() فيض القدير للمناوي، (1/10).

[37]() ينظر: مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، (ص: 35). وسيأتي -إن شاء الله- مزيد من دراسة الموضوع في الصفحات القادمة.

الوقفة الرابعة

بعض فضائل هذه الأمة

 مما سبق اتضح لنا أن هذه الأمة من أفضل الأمم، كيف لا وهي أمة محمد غ أفضل الأنبياء والرسل على الإطلاق؟! قال تعالى: (ث ثثثثثثثثثثثث) [سورة آل عمران:110].

 وإليكم بعض فضائل هذه الأمة:

 فهذه الأمة سابقة على الأمم الأخرى يوم القيامة، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ الأَعْرَجِ مَوْلَى رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ, حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ, بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا, ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُم الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ, فَهَدَانَا الله, فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ؛ اليَهُودُ غَدًا, وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»([38]).

قال ابن حجر: «وَالمُرَاد أَنَّ هَذِهِ الأُمَّة وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودهَا فِي الدُّنْيَا عَن الأُمَم المَاضِيَة فَهِيَ سَابِقَة لَهُمْ فِي الآخِرَة. وَقِيلَ: المُرَاد بِالسَّبْقِ هُنَا إِحْرَاز فَضِيلَة اليَوْم السَّابِق بِالفَضْلِ, وَهُوَ يَوْم الجُمُعَة, وَيَوْم الجُمُعَة وَإِنْ كَانَ مَسْبُوقًا بِسَبْتٍ قَبْله أَوْ أَحَدٍ لَكِنْ لَا يُتَصَوَّر اِجْتِمَاع الأَيَّام الثَّلَاثَة مُتَوَالِيَة إِلَّا وَيَكُون يَوْم الجُمُعَة سَابِقًا. وَقِيلَ: المُرَاد بِالسَّبْقِ أَيْ إِلَى القَبُول وَالطَّاعَة الَّتِي حُرِمَهَا أَهْل الكِتَاب فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا, وَالأَوَّل أَقْوَى... وَفِيهِ بَيَان وَاضِح لِمَزِيدِ فَضْل هَذِهِ الأُمَّة عَلَى الأُمَم السَّابِقَة»([39]).

 وأنها أول من يقضى بينهم يوم القيامة؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ ا أنه قال: قَالَ رَسُولُ الله غ: «أَضَلَّ الله عَن الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا, فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ

---

[38]() صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب: فرض الجمعة، برقم: (876)، (ص: 141).
[39]() فتح الباري شرح صحيح البخاري، (2/354-356) باختصار.

السَّبْتِ, وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمُ الأَحَدِ, فَجَاءَ الله بِنَا فَهَدَانَا الله لِيَوْمِ الجُمُعَةِ, فَجَعَلَ الجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالأَحَدَ, وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ القِيَامَةِ, نَحْنُ الآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا, وَالأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ, المَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الخَلَائِقِ», **وَفِي رِوَايَةٍ وَاصِلٍ:** «المَقْضِيُّ بَيْنَهُمْ»([40]).

- **وأنها أول من يدخل الجنة؛** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ, وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ, بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ, فَاخْتَلَفُوا, فَهَدَانَا الله لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِن الحَقِّ, فَهَذَا يَوْمُهُمْ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا الله لَهُ, قَالَ: يَوْمُ الجُمُعَةِ: فَاليَوْمَ لَنَا, وَغَدًا لِلْيَهُودِ, وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»([41]).

- **وأنها تشهد على الأنبياء السابقين بأنهم بلّغوا الرسالة؛** كما جاء في الحديث، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ فَيَقُولُ الله تَعَالَى: هَل بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا! مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ غ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: (ق ق ق ق ق ق ق) [البقرة:143]» وَالوَسَطُ: العَدْلُ ([42]).

وفي رواية ابن ماجه توضيح أكثر من هذا، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «يَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَل بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَل بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيُقَالُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَتُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّدٍ، فَيُقَالُ: هَل بَلَّغَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: وَمَا عِلمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا فَصَدَّقْنَاهُ. قَالَ: فَذَلِكُمْ

([40]) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم: (856)، (ص: 344).

([41]) المرجع السابق.

([42]) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: (إنا أرسلنا نوحًا إلى قومه)، برقم: (3339)، (ص: 555).

قَوْلُهُ تَعَالَى: (ﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ) [البقرة:143]»[43].

- **وأنها أكثر أهل الجنة بحيث تكون نصف أهل الجنة،** كما بشر به نبينا محمد غ ، فعن عَبْدِ الله بن مسعود ا قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ الله غ: «أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالَ: فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ, وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ: مَا المُسْلِمُونَ فِي الكُفَّارِ إِلَّا كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ, أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ»[44].

قال النووي: «أَمَّا تَكْبِيرهمْ فَلِسُرُورِهِمْ بِهَذِهِ البِشَارَة العَظِيمَة, وَأَمَّا قَوْله غ: «رُبْع أَهْل الجَنَّة, ثُمَّ ثُلُث أَهْل الجَنَّة, ثُمَّ الشَّطْر, وَلَمْ يَقُل أَوَّلًا: «شَطْر أَهْل الجَنَّة» فَلِفَائِدَةٍ حَسَنَة؛ وَهِيَ: أَنَّ ذَلِكَ أَوْقَع فِي نُفُوسهمْ، وَأَبْلَغ فِي إِكْرَامهمْ, فَإِنَّ إِعْطَاء الإِنْسَان مَرَّة بَعْد أُخْرَى دَلِيل عَلَى الاعْتِنَاء بِهِ وَدَوَام مُلَاحَظَته, وَفِيهِ فَائِدَة أُخْرَى هِيَ تَكْرِير البِشَارَة مَرَّة بَعْد أُخْرَى, وَفِيهِ أَيْضًا حَمْلهمْ عَلَى تَجْدِيد شُكْر الله تَعَالَى وَتَكْبِيره وَحَمْده عَلَى كَثْرَة نِعَمه. وَالله أَعْلَم»[45].

تفصيل آخر في رواية البخاري: فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ا قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ غ: يَقُولُ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ! يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ الله يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبِّ! وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلفٍ -أُرَاهُ قَالَ- تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ غ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ

---

[43]() سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب: صفة أمة محمد غ ، برقم : (4284)، (ص: 624).

[44]() صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، برقم: (221)، (ص: 112-113).

[45]() شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الأول)، (3/95).

وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا. ثُمَّ قَالَ: شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا»(46).

أيضًا: َقَدْ ثَبَتَ فِي الحَدِيث الآخَر أَنَّ أَهْل الجَنَّة عِشْرُونَ وَمِائَة صَفّ، هَذِهِ الأُمَّة مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا, فعن بُرَيْدَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «أَهْلُ الجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ, ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ, وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ»(47).

قال صاحب التحفة في شرح هذا الحديث: «وَالمَقْصُودُ بَيَانُ تَكْثِيرِ هَذِهِ الأُمَّةِ, وَأَنَّهُمْ ثُلُثَانِ فِي القِسْمَةِ»(48).

وقال النووي: «فَهَذَا دَلِيل عَلَى أَنَّهُمْ يَكُونُونَ ثُلُثَيْ أَهْل الجَنَّة, فَيَكُون النَّبِيّ غ أَخْبَرَ أَوَّلًا بِحَدِيثِ الشَّطْرِ, ثُمَّ تَفَضَّلَ اللَّه سُبْحَانه بِالزِّيَادَةِ, فَأُعْلِمَ بِحَدِيثِ الصُّفُوف فَأَخْبَرَ بِهِ النَّبِيّ غ بَعْد ذَلِكَ»(49).

□ **وأنها ستتمتع بشفاعة نبيها غ يوم القيامة؛** فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله غ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ, فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَا نَزَلَ, ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً, ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلًا, ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا الله سَاعَةً, ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا فَمَكَثَ طَوِيلًا, ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا, ذَكَرَهُ أَحْمَدُ ثَلَاثًا, قَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي وَشَفَعْتُ لِأُمَّتِي؛ فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا شُكْرًا لِرَبِّي, ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا,**

---

(46) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: قوله: (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى)، برقم: (4741)، (ص: 826).

(47) جامع الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب: ما جاء في صف أهل الجنة، برقم: (2546)، (ص: 578)، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(48) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، (3/330).

(49) شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الأول)، (3/95-96).

ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي فَسَأَلتُ رَبِّي لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخِرَ؛ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي»([50]).

قال صاحب العون: «أي: فَأَعْطَانِيهِمْ فَلَا يَجِب عَلَيْهِم الخُلُود, وَتَنَالهُمْ شَفَاعَتِي فَلَا يَكُونُونَ كَالأُمَمِ السَّالِفَة, فَإِنَّ مَنْ عُذِّبَ مِنْهُمْ وَجَبَ عَلَيْهِم الخُلُود, وَكَثِير مِنْهُمْ لُعِنُوا لِعِصْيَانِهِمْ أَنْبِيَائَهُمْ فَلَمْ تَنَلهُم الشَّفَاعَة, وَالعُصَاة مِنْ هَذِهِ الأُمَّة مَنْ عُوقِبَ مِنْهُمْ نُقِّيَ وَهُذِّبَ, وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ عَلَى الشَّهَادَتَيْنِ يُخْرَج مِن النَّار وَإِنْ عُذِّبَ بِهَا، وَتَنَالهُ الشَّفَاعَة وَإِن اجْتَرَحَ الكَبَائِر, وَيَتَجَاوَز عَنْهُمْ مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورهمْ مَا لَمْ يَعْمَلُوا أَوْ يَتَكَلَّمُوا, إِلَى غَيْر ذَلِكَ مِن الخَصَائِص الَّتِي خَصَّ الله تَعَالَى هَذِهِ الأُمَّة كَرَامَة لِنَبِيِّهِ غ»([51]).

وفي المسند عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ الله غ لَيْلَةً, فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ, يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ) [المائدة:118]، فَلَمَّا أَصْبَحَ قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا زِلتَ تَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ حَتَّى أَصْبَحْتَ تَرْكَعُ بِهَا وَتَسْجُدُ بِهَا؟ قَالَ: «إِنِّي سَأَلتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ الشَّفَاعَةَ لِأُمَّتِي فَأَعْطَانِيهَا, وَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ الله لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِالله عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا»([52]).

 وإنها لا تهلك بأكملها، كما جاء في الحديث عن سعد بن أبي وقاص أَنَّ رَسُولَ الله غ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِن العَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَصَلَّيْنَا مَعَهُ، وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ غ: «سَأَلتُ رَبِّي ثَلَاثًا؛ فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ, وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً: سَأَلتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا, وَسَأَلتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا, وَسَأَلتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا»([53]).

---

[50]() سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب: في سجود الشكر، برقم: (2775)، (ص: 404)، وقَالَ المُنْذِرِيُّ: فِي إِسْنَاده مُوسَى بْن يَعْقُوب الزَّمْعِيّ وَفِيهِ مَقَال. (ينظر: عون المعبود، 7/465).

[51]() عون المعبود شرح سنن أبي داود، (7/465).

[52]() مسند الإمام أحمد، (35/256-257)، برقم: (21328)، وإسناده حسن.

[53]() صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، برقم:

وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «إِنَّ الله زَوَى لِي الأَرْضَ, فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا, وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا, وَأُعْطِيتُ الكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ, وَإِنِّي سَأَلتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ, وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ, وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ, وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ, وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا, وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[54].

- وأنها غالبة إلى يوم القيامة؛ فعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ؛ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ, حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ كَذَلِكَ»[55].

قال النووي في شرح هذا الحديث: «قُلت: وَيَحْتَمِل أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَة مُفَرَّقَة بَيْن أَنْوَاع المُؤْمِنِينَ، مِنْهُمْ: شُجْعَان مُقَاتِلُونَ, وَمِنْهُمْ فُقَهَاء, وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ, وَمِنْهُمْ زُهَّاد, وَآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَن المُنْكَر, وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِن الخَيْر, وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ, بَل قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الأَرْض. وَفِي هَذَا الحَدِيث مُعْجِزَة ظَاهِرَة; فَإِنَّ هَذَا الوَصْف مَا زَالَ بِحَمْدِ الله تَعَالَى مِنْ زَمَن النَّبِيّ غ إِلَى الآن, وَلَا يَزَال حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله المَذْكُور فِي الحَدِيث»[56].

- وأن عيسى بن مريم يصلي خلف إمام هذه الأمة؛ بيانًا منه بأنه جاء متبعًا لشريعة نبينا محمد غ ولم يأت بشريعة جديدة؛ فعن جَابِر بْن عَبْدِ الله يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ غ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى

(2890)، (ص: 1251).

[54]() المرجع السابق, برقم:(2889), (ص: 1250).

[55]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله غ: «لا تزال طائفة...»، برقم: (1920)، (ص: 857).

[56]() شرح صحيح مسلم للنووي، (المجلد الخامس)، (13/ 67).

الحَقِّ، ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ غ, فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا. إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ تَكْرِمَة الله هَذِهِ الأُمَّةَ»[57].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ»[58].

قال ابن حجر: «قَالَ ابْن التِّين: مَعْنَى قَوْله: «وَإِمَامكُمْ مِنْكُمْ» **أَنَّ الشَّرِيعَة المُحَمَّدِيَّة مُتَّصِلَة إِلَى يَوْم القِيَامَة, وَأَنَّ فِي كُلّ قَرْن طَائِفَة مِنْ أَهْل العِلم**».

وَقَالَ ابن الجَوْزِيّ: «لَوْ تَقَدَّمَ عِيسَى إِمَامًا لَوَقَعَ فِي النَّفْس إِشْكَال، وَلَقِيلَ: أَتُرَاهُ تَقَدَّمَ نَائِبًا أَوْ مُبْتَدِئًا شَرْعًا, فَصَلَّى مَأْمُومًا لِئَلَّا يَتَدَنَّس بِغُبَارِ الشُّبْهَة وَجْه قَوْله: «لَا نَبِيّ بَعْدِي»».

وَفِي صَلَاة عِيسَى خَلف رَجُل مِنْ هَذِهِ الأُمَّة مَعَ كَوْنه فِي آخِر الزَّمَان، وَقُرْب قِيَام السَّاعَة، دَلَالَة لِلصَّحِيحِ مِن الأَقْوَال أَنَّ الأَرْض لَا تَخْلُو عَنْ قَائِم لله بِحُجَّةٍ. وَالله أَعْلَمُ»[59].

فيتضح مما سبق: أن أمةً هذه فضائلها وتلك خصائصها لا يستطيع أحد أن يقطع دابرها، ويقضي عليها من أولها إلى آخرها، ولذلك تكفل الله بحفظها من الضياع والانقراض والضلال بإرساله على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها. كما بشَّرنا النبي غ في حديثه الذي نحن بصدد شرحه: «إِنَّ الله يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ: مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، وفي قوله: «لَا يَزَالُ الله يَغْرِسُ فِي هَذَا الدِّينِ غَرْسًا يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي

---

[57]() صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى ابن مريم حاكمًا بشريعة نبينا، برقم: (156)، (ص: 78).

[58]() صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عليه السلام، برقم: (3449)، (ص: 581).

[59]() فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، (6/ 494).

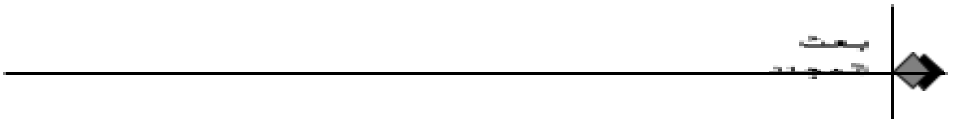

طَاعَتِهِ»[60].

□◄◄ ►►□

[60]() سنن ابن ماجه، المقدمة، باب: اتباع سنة رسول الله غ ، برقم: (8)، (ص: 2).

الوقفة الخامسة

معنى التجديد

■ التجديد لغةً:

قال الرازي: «جدّ» الشيء، «يجِدّ» «جدّة» بكسر الجيم فيهما، صار جديدًا، وهو نقيض الخلق... و«تجدّد» الشيء صار جديدًا، و«أجدّه» و«جدّده» و«استجدّه» أي: صيّره جديدًا([61]).

وقال الفيروزآبادي: «الجدّ ضد البلى، جدّ يجِدّ فهو جديد، وأجدّه وجدّده واستجدّه صيّره جديدًا فتجدّد»([62]).

وقال ابن منظور: «تجدّد الشيء صار جديدًا، وأجدّه وجدّده واستجدّه أي: صيّره جديدًا»([63]).

و«التجديد» مصدر من الفعل «جدّد»، أي: صيّره جديدًا، وكذلك «أجدّه» و«استجده».

فنرى في هذه المعاني اللغوية بأنها تدل على نقيض الخلق، والبلى، وإعادة الشيء إلى ما كان، وإبعاد عنه ما علق به من غيره.

■ التجديد اصطلاحًا:

ليس هناك تعريف محدد ذكر في نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف بالمعنى الاصطلاحي لكلمة «تجديد»، بل هناك إشارات ودلالات إلى المفهوم العام، والسبب في ذلك أن معنى التجديد كان واضحًا في أذهانهم، فلذلك نراهم يتكلمون عن تعداد المجددين وتسميتهم كثيرًا، ولكن لا نراهم يتطرقون إلى تعريف التجديد, وبيانه من حيث هو مصطلح

---

[61]() مختار الصحاح للرازي، (ص: 95).
[62]() القاموس المحيط للفيروزآبادي، باب الدال، فصل الجيم، (1/291).
[63]() لسان العرب لابن منظور، حرف الدال، فصل الجيم، (المجلد الثاني), (4/82).

معروف كما تطرقوا إلى المصطلحات الأخرى المعروفة، والسؤال الذي كان عالقًا في أذهانهم لم يكن ما هو التجديد؟ بقدر ما كان من هو المجدد لكل قرن؟ ومع ذلك نلمح في أقوالهم ما يشير إلى معنى التجديد في ثنايا الكلام. فإليكم بعض أقوال السلف:

يقول الصعلوكي: «أعاد الله هذا الدين بعد ما ذهب، يعنى أكثره بأحمد بن حنبل، وأبي الحسن الأشعري، وأبي نعيم الاسترآبادي»([64]).

وقال العلقمي: «مَعْنَى التَّجْدِيد إِحْيَاء مَا انْدَرَسَ مِن العَمَل بِالكِتَابِ وَالسُّنَّة، وَالأَمْر بِمُقْتَضَاهُمَا»([65]).

وقال المناوي: «يجدد لها دينها: أي يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم -قالوا- ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة»([66]).

ويقول العظيم آبادي: «قَدْ عَرَفْت مِمَّا سَبَقَ أَنَّ المُرَاد مِن التَّجْدِيد إِحْيَاء مَا انْدَرَسَ مِن العَمَل بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ, وَالأَمْر بِمُقْتَضَاهُمَا، وَإِمَاتَة مَا ظَهَرَ مِن البِدَع وَالمُحْدَثَات».

وفِي مَجَالِس الأَبْرَار: «وَالمُرَاد مِنْ تَجْدِيد الدِّين لِلأُمَّةِ إِحْيَاء مَا انْدَرَسَ مِن العَمَل بِالكِتَابِ وَالسُّنَّة وَالأَمْر بِمُقْتَضَاهُمَا.

وَإِنَّمَا كَانَ التَّجْدِيد عَلَى رَأْس كُلّ مِائَة سُنَّة لِانْخِرَامِ العُلَمَاء فِيهِ غَالِبًا, وَانْدِرَاس السُّنَن وَظُهُور البِدَع, فَيُحْتَاج حِينَئِذٍ إِلَى تَجْدِيد الدِّين, فَيَأْتِي الله تَعَالَى مِن الخَلق بِعِوَضٍ مِن السَّلَف إِمَّا وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا»([67]).

ومن المعاصرين قال الدكتور محمود الطحان: إن المراد بالتجديد

---

[64]() تبيين كذب المفتري، لابن عساكر، (ص: 53).
[65]() فيض القدير للمناوي، (2/ 281).
[66]() المرجع السابق، (2/ 281- 282).
[67]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 263).

الوارد في الحديث النبوي هو: «بيان ما اندرس من معالم السنن، ونشرها وحمل الناس على العمل بها، وقمع البدع وأهلها، والعودة بالمسلمين إلى ما كان عليه الرعيل الأول من المسلمين على يد خليفة من الخلفاء الراشدين، أو على يد عدد من المصلحين، كل واحد منهم في ناحيته، أو على جماعة مصلحة تقوِّم الاعوجاج الذي حصل، وتنفض الغبار الذي ألمَّ بواقع المسلمين من انحراف عن منهج الله القويم، ويكون ذلك كل مائة سنة من الزمان؛ لأنها مدة طويلة يعود الناس فيها إلى الاعوجاج، وتظهر في تلك المدة الانحرافات عن دين الله سبحانه»([68]).

ويقول الشيخ بسطامي سعيد: «ولا ريب أن مفهوم التجديد السليم هو الذي كان يقصده النبي غ حين أعلن لأصحابه رضوان الله عليهم عن نبوءة بعث مجدد لكل قرن، وأحق الناس بتوضيح هذا المفهوم هم السلف الذين تلقوا هذا الحديث ونقلوه للأجيال اللاحقة لفظًا ومعنىً»([69]). ثم سرد أقوال السلف في معنى التجديد، إلى أن وصل في آخر كتابه إلى النتيجة التالية:

«المفهوم السليم هو المفهوم السنّي الذي كان في ذهن النبي غ حين قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»، وأحق من أدرك هذا المفهوم هم السلف، وبالنظر في آرائهم وتعريفاتهم يتضح: أن التحديث الحق هو السعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر، وبين المجتمع النموذجي الأول الذي أنشأه الرسول غ؛ وكما يكون ذلك بإحياء مفاهيم ذلك المجتمع وتصوراته للدين، وإحياء مناهجه في فهم النصوص وبيان معانيها، وإحياء مناهجه في التشريع والاجتهاد، وإحياء مناهجه في تدوين العلوم وتكوين نظم الحياة، واقتباس النافع الصالح من كل حضارة، يكون أيضًا بتصحيح الانحرافات النظرية،

---

[68]() مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، للدكتور محمود الطحان، (ص: 4).

[69]() مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، (ص: 7).

والفكرية، والعملية، والسلوكية، وتنقية المجتمع من شوائبها»([70]).

وبعبارة مختصرة يمكن أن نعرّف التجديد مستخلصًا من الأقوال السابقة بأن: تجديد الدين هو: «إعادته إلى ما كان عليه في عهد النبي غ وأصحابه»، أو **بعبارة أخرى**: «تجديد الدين هو إحياء معالم الدين في نفوس الناس وفي حياتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، أو بعضها بما يتفق مع الكتاب والسنة».

- ويتبين من هذا المفهوم، أن للتجديد معالم أساسية:

1- أنه بعث وإحياء، وليس خَلق دين جديد كما يفهم بعض الناس، أو يريد أن يجعله تكية لخلق دين آخر.

2- أنه إحياء لدين محمد غ الذي أتى به من عند الله تبارك وتعالى.

3- أنه عام في جميع شُعَبِ الحياة أو في جانب من جوانبها.

4- أنه يجب أن يكون مبنيًا على الكتاب والسنة.

5- أن العمل والتطبيق إحياء لما كان عليه السلف، كما قال النبي غ في حديث افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، وكلها في النار إلا واحدة، وهي ما كانت على ما كان عليه النبي غ وأصحابه، فعن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ, حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ, وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً, وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً, كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً, قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»([71]).

---

[70]() المرجع السابق، (ص: 281).

[71]() جامع الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة...، برقم: (2641)، (ص:600). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مُفَسَّرٌ لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ.

وبناءً على هذه المعالم يمكن أن تتشعب طرق التجديد شعبًا متعددةً كأن يكون شاملًا أو مقتصرًا على جانب.

- مفاهيم خاطئة للتجديد:

من أهم هذه المفاهيم: أن التجديد هو عبارة عن تجديد الفكر الإسلامي، أو تجديد أصول العلوم الشرعية كأصول الفقه، وأصول الحديث، وكذا تجديد العلوم الإسلامية بعامة، لا بطريقة عرض تلك العلوم عرضًا سهلًا باستخدام وسائل جديدة، أو تنزيل بعض الأحكام الشرعية لمواجهة بعض المشكلات التي جدّت، كالتأمين والبيع بالآجل على أقساط وما إلى ذلك، وإنما انصبت الدعوة إلى تغيير الأفكار الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية زعمًا منهم لمسايرة العصر الذي نعيش فيه، وأن ما كتبه الأقدمون لا يتناسب ومعطيات العصر([72]).

يقول بسطامي سعيد: «أما مفهوم التجديد الخاطئ؛ فهو ذلك المفهوم الذي تقدّمه العصرانية، وهو الذي شاع في هذا العصر كأثر من آثار مواجهة الإسلام للحضارة الغربية، وتسعى العصرانية لتقديم خليط من الإسلام ومن جاهلية الغرب، وتجتهد في إيجاد المواءمة بينهما، وتعتمد في ذلك أسلوب التأويل والتحوير لتعاليم الإسلام، وأسلوب التنازلات والتسويغ باسم الاجتهاد»([73]).

وأغلب من قال بهذه الأقوال؛ من ليس له باع طويل أو قدم راسخ في العلوم الإسلامية، ومن المسلَّم به أن الذي لا يتمكن في دراسة العلوم الإسلامية، ولا يتخصّص فيها، ليس من حقه أن يتصدّر لتجديدها، ونقد مؤسّسيها وأئمتها، إنما هذا عائد لأهل العلم والاختصاص. وهذا مسلّم به في كل فن من الفنون، أو علم من العلوم، وهذا أمر في منتهى البداهة.

---

[72]() ينظر: مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، للدكتور محمود الطحان، (ص: 4-5).

[73]() مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، (ص: 281).

وقد تأثر بهذه الدعوة بعض الشباب الذين ليس لديهم سعة اطلاع على العلوم الإسلامية، وطول باع في العلوم الشرعية، وقدم راسخ في العلم بعامة، ومعرفة تامة بالثقافة الإسلامية.

ولبيان خطورة المفهوم السابق أعرض ما ينبني عليه هذا المفهوم، ومن ذلك:

1- تغيير الدين نفسه أو بعضه.

2- تغيير بعض أحكام الشريعة الثابتة والمستقرة.

3- تأويل نصوص الكتاب والسنة على غير ما دلت عليه، وإنما بما يناسب العصر بزعم قائلها.

4- تغيير القواعد والأصول التي بنيت عليها العلوم الشرعية، كأصول الفقه، وأصول الحديث، والقواعد الفقهية، وغيرها.

5- ومن ثم جعل الدين مسايرًا لما عليه المجتمعات غير الإسلامية.

6- خلخلة الثوابت والأصول الضابطة لمسيرة هذا الدين علمًا وعملًا.

- موقف العلماء من هذه الفئة:

بفضل من الله ورحمته على هذه الأمة لقد قام في كل عصر وزمن علماء أجلاء؛ كشفوا عن الزيغ والضلال الذي ينسب إلى الإسلام، حتى صار الإسلام أبيض نقيًا كالشمس في رابعة النهار، وفي عصرنا هذا أبان كثير من العلماء الأفاضل-جزاهم الله خيرًا- ضلال هذه الفئة وغيّهم، وانحرافهم عن المنهج السويِّ، وكشفوا عن زيغهم وزيفهم، وأوضحوا أن التجديد لا يكون بتهديم الإسلام وتخريبه وتبديده؛ بل بإصلاحه بالنفي عنه تحريف الغالين, وانتحال المبطلين, وتأويل الجاهلين؛ يقول الدكتور محمود الطحان: "هذا بحث في بيان المراد بالتجديد الوارد في بعض الأحاديث، قصدت به التحذير مما يبثه بعض المنحرفين من أفكار غريبة عن الإسلام

وأحكامه، لم يقل بها أحد من أئمة المسلمين من سلف الأمة وخلفها، زاعمين أنها من الإسلام، مستغلين اسم التجديد الوارد في السنة النبوية، وما أفكارهم هذه بتجديد، وإنما هي تهديم لأحكام الإسلام، وتخريب لقواعده وأصوله، وتشويش لأفكار المسلمين, وتطويع للإسلام ونظمه؛ كي يتقبل الأنظمة الدخيلة باسم الإسلام الجديد. والدعوة إلى مثل هذا التجديد في أفكار الإسلام وأصوله دعوة خطيرة جدًا؛ لأنها دعوة ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب؛ إذ أنها دعوة لهدم الإسلام، والتفلّت من أحكامه ونظمه، والثورة على تراثه الفقهي، لكن بدون مواجهة التيار الإسلامي ومعاداته، وإنما بالمشي معه لكن بلبوس إسلامي جديد»([74]).

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «نريد التجديد لا الهدم والتبديد: وتجديد الشيء ليس معناه أن تزيله، وتنشئ شيئًا جديدًا مكانه، فهذا ليس من التجديد في شيء. تجديد شيء ما: أن تبقي على جوهره ومعالمه وخصائصه ولكن ترمم منه ما بلي، وتقوي من جوانبه ما ضعف، كما لو أردت تجديد جامع أثري أو قصر أثري فلا بد أن تحافظ عليه وعلى خصائصه وروحه ومادته ما استطعت. ولكن تجدد من ألوانه ما ذهب، ومن بنائه ما وهىَ, وتحسن من مداخله, وتجمل الطريق إليه... وتجديد الدين لا بد أن يكون من داخله وبأدواته الشرعية، وعن طريق أهله وعلمائه, لا بالإغارة عليه، ولا بالافتيات على أهله، ولا بإدخال عناصر غريبة عنه وفرضها عليه عنوة. وإن كنا نرى الكثيرين في العصر الحاضر قد أقحموا أنفسهم على الدين، وزعم كل منهم أنه مجدد الملة، وشيخ الإسلام، وإمام الزمان. فمنهم من يقرأ القرآن قراءة جديدة معاصرة تلغي قراءة الأمة طوال أربعة عشر قرنًا، فهو يلغي تراثها كله، ويلقيه في سلة المهملات، ويبدأ من الصفر، لا يعتمد على حديث مرفوع، ولا على

---

[74]() مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، للدكتور محمود الطحان، (ص: 1).

أثر موقوف على صحابي، ولا على قول صحيح عن تابعي، ولا على رأي مأثور عن إمام في اللغة، أو إمام في الفقه، أو إمام في التفسير. هو وحده حجة الزمان، وما عداه جهل وبهتان، ثم يأتي بأي تفاسير وآراء ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يقوم عليها برهان. والعجب أن هذا المدعي لا يحسن أن يقرأ آية قراءة صحيحة، ليس فقط لأنه لا يحفظ القرآن بل لأنه لا يعرف مرفوعًا من منصوب، ولا فاعلًا من مفعول».

وقال: «إننا نؤمن بالتجديد إذا كان تجديدًا حقًا، ونرحب بالمجددين إذا كانوا مجددين صدقًا، أما هؤلاء الذين ذكرنا نماذج لهم، فإن ما دعوا إليه لا يدخل في باب التجديد، بل هو من باب الهدم والتبديد.

إننا نرفض هؤلاء المبددين بقدر رفضنا دعاة (التقليد) و(التجميد) الذين يريدون أن يبقى كل قديم على قدمه، ولا يرحبون بأي اجتهاد جديد أو فكر جديد، شعارهم: ما ترك الأول إلى الآخر شيئًا.. وليس في الإمكان أبدع مما كان.

نحن نرفض الذين يريدون أن يحرموا على الناس أن يفكروا بعقولهم، وأن يجتهدوا لزمانهم، كما اجتهد السابقون لزمانهم، ونرى أن هؤلاء الجامدين يسيئون إلى أنفسهم، وإلى الدين، الذين يزعمون أنهم يتكلمون باسمه، وهذا الدين ليس فيه رجال كهنوت، ولا اكليروس، إنما فيه علماء قادرون راسخون مؤهلون لأن يردوا فروعه إلى أصوله، وأن يأتوا البيوت من أبوابها، ويستقوا المياه من منابعها النقية.

وهناك فوارق جوهرية بين التجديد في الفكر الإسلامي, والتجديد في الفكر الغربي, فالتجديد إسلاميًا لا يعدو كونه إحياءً وبعثًا وإعادةً, أما التجديد غربيًا فيعني أن التغيير يأتي على كل القيم لعدم وضوح العلاقة بين الثابت والمتغير, كما يعني أيضًا التجاوز المستمر للماضي, وهو نابع من طبيعة الفكر الغربي الذي يقوم على نوعين من الفصل؛ فصل العقل عن

الغيب, وفصل العلم عن الأخلاق, ومما لا شك فيه أن النوع الأول من الفصل قد نتج عنه من نفي وجود مصدر معرفي مستقل (ألا وهو الوحي), عن المصدر المعرفي البشري المبني على الواقع المشاهَد أو المحسوس المادي.

ومما لا ريب فيه أن مفهوم التجديد عندهم مفهوم خاطئ، لم يقل به أحد من العلماء الربانيين، وبالتالي لا تسمى دعوتهم دعوة تجديدية للدين؛ وإنما هي دعوة لتطويع الإسلام وليِّ عنقه ليتماشى مع النظم الغربية الوضعية التي باءت بالفشل، ولكن باسم تجديد الدين، ونحن نؤمن إيمانًا جازمًا لا يقبل أدنى شك ولا أقل ريبة بأن الشريعة الغراء التي جاء بها نبينا محمد غ من عند الله تبارك وتعالى صالحة لكل زمان ومكان مهما تغيرت الأحوال وتبدلت الأيام».

ويقول الدكتور الطحان مبينًا صلاحية الشريعة لكل زمن ومكان مهما تغيرت الظروف والأحوال: «ولا حاجة لتغييره أو تجديده مهما اتسعت العلوم البشرية، ومهما كثرت المخترعات في هذا العصر، ومهما اكتشف الإنسان من أسرار الكون، وتركيب المادة، فالرسالة الإسلامية أنزلها الله تعالى للإنسان بوصفه إنسانًا له نوازع، وله شهوات، وله غرائز، وله حاجات، وله ارتباطات وعلاقات بينه وبين ربه، وبينه وبين بني جنسه، وبينه وبين نفسه، فأنزل الله الأحكام الشرعية لمعالجة تلك العلاقات، ورسم الله لعباده كيفية السلوك والتصرف فيها بدقة وجلاء، والنبي غ يقول: «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»»[75].

قال تعالى: (ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖ) [سورة الأعراف:52]. فنحن نعتز بهذه الآية الكريمة، ونوقن بأن المصلحة فيما فصله الله تبارك وتعالى في كتابه

---

[75]() مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، للدكتور محمود الطحان، (ص: 11)، والحديث رواه ابن ماجه في السنن في المقدمة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، برقم:(43)، (ص: 6-7).

لنا.

وهذا الجهد المتواضع الذي بين يديك -أخي القارئ- ما هو إلا حلقة في سلسلة الدفاع عن السنة النبوية، والشريعة الغراء، حتى يتضح الحق لمن قصد الحق، وأراد أن يعمل به. (ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ) [سورة الأنفال:42], والحق أحق أن يتبع.

فعلى شباب الأمة أن يحذروا من الدعوات المنحرفة التي تريد التفلّت من الدين الإسلامي، وتطويع أحكامه لتوافق هواهم، مستغلةً اسم التجديد، والحقيقة أنها دعوة إلى هدم الإسلام وتخريبه وتبديده لا إلى تجديده وإصلاحه، وقد كثر الكلام وتشعب وبخاصة في الإعلام -المرئي والمقروء- لكتاباته وأدبياته، وذلك باسم حرية الرأي، وأمثالهم لينعق كلٌّ بما شاء، كيف شاء، ناسفًا كل القواعد والثوابت إلا عقله المجرد، وتبعيته لغيره، وانهزاميته أمام غيره.. كل ذلك ليوجد لنفسه مبررًا فيما يتخذه ويقوله من أحكام. فليتق الله تعالى من لا يعلم ليرد العلم إلى أهله.

- من عناصر التجديد:

الكتاب والسنة هما المصدران الأساسيان للدين؛ من تمسك بهما فقد اهتدى إلى سواء السبيل، ومن تركهما فقد غوى وضل عن سواء السبيل، وإن الدين هو مجموع العلم بالكتاب والسنة والعمل بهما، والعلم يشمل النصوص والألفاظ، والعلم بمعاني تلك النصوص والألفاظ، كما أن العمل يستند على هذا العلم. ومن هنا يقسم بسطامي سعيد التجديد إلى ثلاثة عناصر.

- التجديد بحفظ نصوص الدين الأصلية صحيحةً نقيةً.
- التجديد بنقل المعاني الصحيحة للنصوص وإحياء الفهم السليم لها.
- التجديد بإفشاء العلم والحث على العمل.

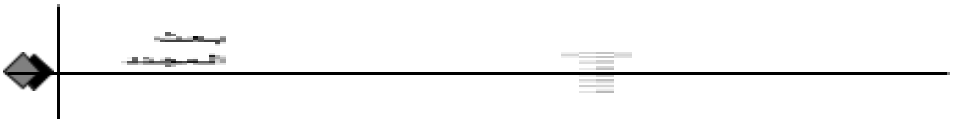

وفيما يلي إشارات موجزة على العناصر المذكورة:

1- **المحافظة على نصوص الكتاب والسنة الأصلية**: ومما لا شك فيه أن بقاء أيّ دين إنما هو ببقاء نصوصه الأصلية، وإذا لم يكن هناك اطمئنان إلى صحة هذه النصوص ونسبتها إلى مصادرها الأولى؛ فإن الدين ينهدم من أساسه، وأوضح مثال على قولنا ما حدث للأديان السابقة من اليهودية والنصرانية، فقد دخل في كتبها السماوية ما ليس منها، من أقوال أنبيائهم، وشروح تلاميذهم، وأقوال أتباعهم، وشروح أحبارهم ورهبانهم، مع ما حذف منها وبدّل –طبعًا- لهواهم ورغباتهم. فنسبة ما يسمى عندهم الآن بالكتب المقدسة إلى مصادرها مشكوك جدًا.

ولكن ديننا الإسلامي فقد تكفل الله تعالى بحفظ نصوصه؛ كما جاء في قوله تعالى: (ﮋﮊﮋﮌ ﮍﮎﮏﮐ) [الحجر:9]. فالقرآن لم يدخله تحريف قط، وأما الحديث وإن كان قد دخل فيه ما ليس منه، وزاد فيه الوضّاعون؛ ولكن الله هيّأ قومًا من المحدثين أبانوا هذا الوضع والزيغ فيه، وجعلوا الأحاديث بيضاءَ نقيةً موثوقةً إلى صاحبها -عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليمات- بالتصحيح والتضعيف لها بعد ما بذلوا جهودًا ضخمة ومضنية للتوثيق والتصحيح.

فالمحافظة على نصوص الدين الأصلية من الضياع ومن الاختلاط بغيرها, والجهود التي تبذل في سبيل توثيق النصوص، والعلوم التي نشأت لأجلها تعتبر أحد عناصر التجديد.

2- المحافظة على المعاني السليمة والصحيحة للنصوص المأثورة من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم من السلف الصالح؛ لأن الصحابة تلقّوا من رسول الله غ معاني القرآن كما تلقّوا ألفاظه، وكذلك الأحاديث، وبجانب هذا التلقي المباشر من الرسول غ فإن هناك مميزات أخرى انفرد

بها الصحابة، مما جعل فهمهم للنصوص هو الفهم السليم، وهي([76]):

- o أنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله.
- o أنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن.
- o أنهم عرفوا أحوال من نزل فيهم القرآن من العرب واليهود.
- o سلامة مقصدهم.
- o حسن فهمهم.

فالمحافظة على المعاني الصحيحة السليمة المأثورة من سلفنا الصالح، ونقلها إلى الآخرين، ونشرها بين الناس أحد عناصر التجديد.

3- التجديد بإفشاء العلم والحث على العمل: إن للعلم فضائل جمة وميزات خاصة، يكفي لفضله أن أول سورة نزلت في القرآن تحث على القراءة، قال تعالى: (چچچچ) [العلق: 1]، إلى آخر الآيات، وقال تعالى: (بم بى بيتج تح تخ تم تى تيثج ثم ثى ثيجح) [المجادلة: 11]، وقال تعالى: (ئۇئۆئۆئىئېئېئىئىئىی ییی) [الزمر:9]، كما قال في سورة فاطر: (ۋۋۅۅۉ) [فاطر: 28].

وقال النبي غ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلمًا سَلَكَ الله بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الجَنَّةِ, وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ العِلمِ, وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالحِيتَانُ فِي جَوْفِ المَاءِ, وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ, وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ؛ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا العِلمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»([77]).

وقد حثّ رسول الله غ أمته بقوله: «نَضَّرَ الله امْرًا سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا

---

[76]() ينظر: فصول في أصول التفسير، للشيخ مساعد بن سليمان الطيار، (ص: 30).

[77]() سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: في فضل العلم، برقم: (3641)، (ص: 523).

فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[78].

ووعد بالأجر العظيم لطالب العلم في قوله: «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع»[79].

ومن هنا اهتمّ السلف الصالح رحمهم الله تعالى بطلب العلم، والعناية به، والجد في طلبه وتحصيله، وتنافسوا في ذلك, فورثوا للأمة تراثًا ضخمًا لا تجاريهم أمة من الأمم. وكل واحد منا يعلم أن العلم غاية كبرى، وهدف أسمى يسعى إليه الموفقون المجدون في هذه الحياة.

ولكن هذا العلم لا ينفع صاحبه إلا بالعمل به, والعمل بالكتاب والسنة هو الغاية من معرفة النصوص وفهمها، ومن أخطر الانحرافات التي تصيب أهل الدين: الانفصال بين العلم والعمل؛ أيًا كان نوع هذا الانفصال ودرجته. والعمل بالعلم هو زكاة العلم, وهو ثمرتُه، ولا ينفع بدونه، وقد ذمّ الله تعالى الذين يقولون ما لا يفعلون، قال تعالى: (ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ) [الصف:2-3], وقال تعالى: (ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ) [البقرة:44], وجاء الحث على العمل الصالح في قوله تعالى: (ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ) [العصر:1-3].

ومن مجالات التجديد طلب العلم، ونقل علوم السلف من جيل إلى جيل نقيةً من التحريف، وسليمةً من الانتحال، وقد ذهب بعض العلماء إلى أن التجديد هو إحياء العلم فقط.

يقول ابن كثير: «وقال طائفة من العلماء: الصحيح أن الحديث- يعني حديث التجديد- يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأعصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم، عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من

---

[78]() سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: فضل نشر العلم، برقم: (3660)، (ص: 525).

[79]() جامع الترمذي، كتاب العلم، باب: فضل طلب العلم، برقم: (2647), (ص: 601)، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

الخلف»([80]).

هذا ما ذكره الشيخ بسطامي سعيد، ولعلي هنا أضيف أو أفرِّع على ما ذكر أن من التجديد:

1- عرض العلم الشرعي بأسلوب مناسب للعصر، فقد يتعذر أسلوب عصر سابق، فينبري بعض العلماء لتفسير القرآن الكريم، أو شرح بعض الأحاديث النبوية، أو تفصيل مسائل تطلبها العصر، وبيان بعض الأحكام على نوازل جديدة، أو إحياء الدعوة إلى الله بأسلوب معين، كل هذه وأمثالها أحسب أنها من التجديد.

2- إحياء سنّة واجبة أو مستحبة اندثرت أو كادت، وقد تفيد الأمة بأكملها.

3- إقامة الدين وقت غربته، والتمسك به، والدعوة إليه، مما يكون سببًا للاقتداء والتأسي.

التجديد والاجتهاد:

أشار السلف إلى مجال آخر من مجالات التجديد، وهو وضع الحلول الإسلامية للمشاكل التي تطرأ في حياة البشر، ففي كل عصر توجد حوادث طارئة ونوازل جديدة تستدعي أن يشرع لها حكم، وبالاجتهاد تشرع لها أحكام، فهذا الاجتهاد يدخل في معنى التجديد، وقد أشار إلى هذا الجانب بعض العلماء، قال المناوي: «وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد، ومعرفة أحكام الدين لازمة إلى يوم التناد، ولم تف ظاهر النصوص ببيانها بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها، اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث، إجراءً لهذه الأمة مع علمائهم مجرى

---

[80]() دلائل النبوة لابن كثير، (ص: 495).

بني إسرائيل مع أنبيائهم»([81]).

ولكن لا بد للمجتهد أن يتوفر فيه شروط الاجتهاد المعروفة عند أهل العلم، وليس معناه أن يدلي كل واحد بدلوه، ويزعم أنه صار مجتهدًا مطلقًا، وأن ما يقوله حجة، ولذلك ذكر السلف في وصف المجدد: «أن يكون مجتهدًا قائمًا بالحجة، ناصرًا للسنة، له ملكة ردِ المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات من نصوص الفرقان، وإشاراته، ودلالاته، واقتضاءاته، من قلبٍ حاضرٍ وفؤادٍ يقظان»([82]).

التجديد يناقض الابتداع:

البدعة: هي ما يحدث في الدين مما ليس له دليل في الشريعة، قال ابن رجب: والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعةٍ شرعًا، وإن كان بدعةً لغةً... كقول عمر لما جمع الناس في قيام رمضان على إمام واحد في المسجد، وخرج ورآهم يصلون كذلك، فقال: «نعمت البدعة هذه».

ومراده: أن هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا الوقت، ولكن له أصول من الشريعة يرجع إليها، فمنها: أن النبي غ كان يحث على قيام رمضان، ويرغب فيه، وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعاتٍ متفرقةً ووحدانًا، وهو غ صلّى بأصحابه في رمضان غير ليلةٍ، ثم امتنع من ذلك معللًا بأنه خشي أن يكتب عليهم، فيعجزوا عن القيام به، وهذا قد أمن من بعده غ ([83]).

يقول الشاطبي: «البدعة الحقيقية هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا استدلال معتبر عند أهل العلم، لا في

---

[81]() فيض القدير، للمناوي، (1/ 10).
[82]() نفس المصدر، (1/ 10).
[83]() جامع العلوم والحكم لابن رجب، (ص: 500-502), بتصرف.

الجملة ولا في التفصيل، ولذلك سميت بدعة؛ لأنها شيء مخترع على غير مثال سابق، وإن كان المبتدع يأبى أن ينسب إليه الخروج عن الشرع؛ إذ هو مدعٍ أنه داخل بما استنبط تحت مقتضى الأدلة، لكن تلك الدعوى غير صحيحة لا في نفس الأمر ولا بحسب الظاهر، أما بحسب نفس الأمر فبالعرض، وأما بحسب الظاهر فإن أدلته شبه ليست بأدلة»([84]).

وقد جاء نهي عن الابتداع في الدين، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله غ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، وفي رواية عنها: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»([85]).

يقول ابن رجب: «هذا الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، وهو كالميزان للأعمال في ظاهرها، كما أن حديث: «الأعمال بالنيات»، ميزان للأعمال في باطنها، فكما أن كل عمل لا يراد به وجه الله تعالى فليس لعامله فيه ثواب، فكذلك كل عمل لا يكون عليه أمر الله ورسوله فهو مردود على عامله، وكل من أحدث في الدين ما لم يأذن به الله ورسوله فليس من الدين في شيء»([86]).

وعن العِرْبَاض بن سارية قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله غ ذَاتَ يَوْمٍ, ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا, فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ, وَوَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ, فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ الله! كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا, فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ, تَمَسَّكُوا بِهَا, وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ, وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ, وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»([87]).

---

[84]() الموافقات للشاطبي، (2/ 3).

[85]() صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، برقم: (1718)، (ص: 762).

[86]() جامع العلوم والحكم لابن رجب، (ص: 118).

[87]() سنن أبي داود، كتاب السنة، باب: في لزوم السنة، برقم: (4607)، (ص: 651).

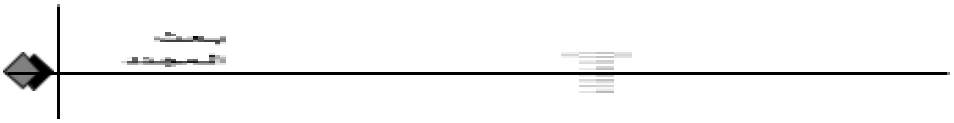

ومن الأحاديث السابقة يتضح أن البدعة تخالف التجديد؛ لأن التجديد عبارة عن الإعادة والإحياء، بينما الابتداع إحداث واختراع وابتداء، فتبين أن الابتداع والتجديد ضدان لا يجتمعان؛ فالتجديد تشييد لصرح الحياة على أصول الدين، وبناء شعبه على أسسه، وإعمال لنصوص الشرع، وقواعده الكلية، وتحقيق لمقاصده العامة، وفي حين أن الابتداع إلصاق ما ليس من الدين به، وإدخال عنصر غريب عنه فيه، وإذا كان التجديد تصحيحًا للدين، فالابتداع تحريف للدين، بل هو من أكبر أنواع التحريف للدين.

وبعد: في نهاية هذه الوقفة لعلنا نذكر خلاصة مفهوم التجديد:

1- إن تجديد الدين هو السعي لإحيائه وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول.

2- **ومن ضرورات التجديد**: حفظ نصوص الدين الأصلية صحيحةً نقيةً حسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك.

3- **ومن مستلزمات التجديد**: سلوك المنهج السليم لفهم نصوص الدين، وتلقي معانيها من الشروح المأثورة عن السلف الصالح.

4- **وغاية التجديد**: جعل أحكام الدين نافذةً مهيمنةً على أوجه الحياة، والمسارعة لرأب الصدع في العمل بها، وإعادة ما ينقض من عراها.

5- **ومن توابع ذلك الاجتهاد،** وهو وضع الحلول الإسلامية لكل طارئٍ، وتشريع الأحكام لكل حادث ونازل.

6- **ومن خصائص التجديد**: تمييز ما كان من الدين وما يلتبس به، وتنقية الدين من الانحرافات والبدع، سواء كانت هذه الانحرافات ناتجةً من عوامل داخلية في المجتمع المسلم، أو كانت بتأثيرات خارجية.

7- **ومن التجديد**: العمل على نشر السنن، وإظهار ما اندرس منها.

هذا هو المفهوم الواضح عن معنى التجديد في الحديث بما تدل عليه

مجموع الأدلة من الكتاب والسنة، وما عليه العمل عند السلف، وهو في مجمله: سعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصرٍ، وبين النموذج المثالي للدين الذي كان في العهد النبوي وعهد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

□◄◄ ►►□

الوقفة السادسة

التجديد وتأويل النصوص

إن الشريعة الإسلامية الغراء كاملة وشاملة وصالحة لكل الأزمان، ولكل الأمكنة، ولكل الأحوال، وقد بيَّن سبحانه كمالها وتمامها في محكم تنزيله، فقال: (ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ) [سورة المائدة:3]، وأشهد الله نفسه وملائكته وأولي العلم على ذلك، كما قال تعالى: (ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ) [سورة آل عمران: 18-19]، وبيَّن أن من أعرض عنها فهو من الخاسرين في الآخرة، كما قال تعالى: (ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ) [سورة آل عمران:85].

ومع هذا فقد قامت دعوات تدعو إلى تجديد الشريعة لكي تكون صالحةً للزمان الذي نعيش فيه، ولإصلاح هذه البيئة الأليمة، وكل يدلي بدلوه، ويقول رأيه فيها.

والأمر الذي يثير البلبلة في الأفكار هو أن أغلب رواد الإصلاح يرفعون راية الدين، ويدَّعون أنهم على الجادة التي ترك عليها النبي غ أصحابه، وأن قولهم هو الفيصل، ولو كان مخالفًا للنصوص الثابتة القطعية.

ولنعلم أن الغرب يراقب العالم الإسلامي بعيون كثيرة، ولدوافع وبواعث متعددة، فهناك أولًا: العداء الديني التاريخي، وثانيًا: المصالح الغربية الحيوية في العالم الإسلامي، وثالثًا: الخوف المتأصل من منافس يزيل سيادة الغرب، وغير هذه الأمور، ومن هنا فإن الغرب يرصد العالم الإسلامي بدقة، ويتابع كل حركة، ويحصي ويحلل ويتنبأ، ويوجه ويخطط لمستقبل العالم الإسلامي والمسلمين.

فمن مكائدهم للعالم الإسلامي: أن أوجدوا فئةً من المثقفين بين أبناء الأمة المسلمة، يتكلمون بلغتهم، ويلبسون لباسهم, ويسكنون معهم، ولكنهم ينتمون إلى الغرب بأفكارهم وميولهم، ويحاولون أن يحدثوا البلبلة والفوضى بين صفوف المسلمين عن طريق تأويل النصوص، والعبث بها حسب ما تمليه عقولهم وبدون ضوابط، بدعوى أنهم رجال قادرون على تجديد الشريعة لتكون ملائمةً لهذا العصر.

فمن مزاعمهم الباطلة: أن التقدم العلمي الحاضر، والمعارف المعاصرة، تستلزم إعادة النظر في الفكر الديني القديم، وتأويل تعاليم الدين لتتلاءم مع معارف وظروف العصر السائدة، فلا بد من إيجاد المواءمة بينه وبين الظروف الجديدة المتغيرة، وقد تكون هذه المواءمة بإعادة تفسير وتأويل بعض تعاليم الدين، ورفض التفسيرات القديمة لها، وقد تكون باطراح بعض التعاليم التي لم تعد مناسبة, وتغييرها بتعاليم مناسبة، وعلى كل حال فإنه لا بد من إعادة تكييف الدين على ضوء ظروف ومعارف العصر السائدة.

والإنسان في كل عصرٍ اعتبر عصره عصرًا جديدًا، عصرًا ذهبيًا، عصر التقدم والرقي، عصرًا متحضرًا ومتمدنًا، عصر العلوم والفنون، وظن العصور السالفة عصورًا بائدةً، عصورًا خاليةً من المزايا والمحاسن، عصورًا وحشيةً، عصورًا كان الناس فيها مصابين بالجهل والرجعية، والفوضوية والأنانية، وهذا الظن الخاطئ وقع فيه الإنسان في

كل عصرٍ، مع أن الحقيقة أنه لم يدخل عليه أيّ تبدل أو تغير في طبعه منذ الإنسان الأول إلى يومنا هذا؛ ما عدا بعض الابتكارات العلمية، والتطورات التقنية، والاكتشافات الجديدة التي قد فتح الله أبوابها على الإنسان بفضل منه ورحمته سبحانه وتعالى, فكان عليه أن يشكر الله تعالى امتنانًا لهذه النعم الكثيرة، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ لكي يزاد له في النعم، كما قال تعالى: (ﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙ) [سورة إبراهيم: 7] ونسي أن هذا ابتلاء منه سبحانه، كما قال تعالى على لسان نبيه سليمان عليه السلام: (ﭨﭩ ﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳ ﭴﭵﭶﭷﭸ) [سورة النمل:40].

إن ديننا لا ينكر الاختراعات ولا الابتكارات العلمية، ولا يفرض قيودًا عليها إذا لم تكن ضارة بالجنس البشري، مثل ما فرضت المسيحية عبر القرون الماضية، والكتب مليئة بالوقائع والأحداث التي ارتكبوها في حق العلم وأهله، أما الإسلام فمن اليوم الأول حثّ على العلم والتعلّم والتعليم, فأول وحي منزل من عند الله فيه الحثّ على العلم، ولكنه يعطينا ضابطًا، وهو أن لا يكون العلم سبّب مضرةً للبشر، وأن يكون التغيير والتبديل في إطار الشريعة نفسها وفق ضوابطها الدقيقة.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «إن التغيير صحيح ما دام يسير في إطار الدين، وفي الاتجاه الذي يحقق غاياته، ولن يكون الدين صحيحًا إذا استجاب لكل تغير». باعتباري مريدًا وتابعًا لدين لا يمكنني أبدًا أن أقبل وضعًا يستجيب فيه هذا الدين لكل تغير، ولا يمكن أن توافق أنت على ذلك أيضًا؛ لأن الدين ليس مقياس حرارة يقتصر عمله على تسجيل درجة الحرارة، ولا هو بالأداة التي ترصد اتجاه هبوب الرياح... لا يمكن تعريف الدين بهذه العبارات، ولا يمكن أن يصير إلى أداة آلية غريبة، وليس بيننا واحد يريد من الدين أن يعمل كسجل لتغيرات الأزمنة، وإن دينًا وضعيًا مزعومًا لا يمكن أن يتحمل هذا الوضع، فكيف بدين منزل؟!

إن الدين يقر التغير كحقيقة واقعة، ويعطي أكمل مجال لسير الأمور

من أجل تحول صحيح سليم.

الدين يتقدم مع الحياة يدًا بيدٍ، ولا يواكبها فقط كتابع لها... ووظيفته أيضًا أن يميز بين تغير سليم وآخر غير سليم، وبين نزعة هدامة وأخرى بناءة... ويجب أن يقرر الدين فيما إذا كان التحول نافعًا، أو ضارًا بالبشرية، أو بأتباعه على الأقل.

وبينما يتماشى الدين مع الحياة جنبًا إلى جنبٍ من جهةٍ، فإنه يعمل حارسًا وحاميًا لها من جهةٍ أخرى, وتجب عليه مهمة المراقبة والضبط أيضًا، وليس من شأنه أن يلصق طابعه على أيِّ وثيقةٍ أو صكٍ.. بل يجب عليه أن يميز ويختار. أجل إنه يفحص «الوثيقة» أولًا ثم يصدر حكمه[88].

وكذلك فلنعلم حقيقةً ثانية وهي: أن ثقافة العصر لا تقوم كلها على أمور علمية، بل القليل جدًا من معارفه وعلومه من الحقائق العلمية الثابتة, وإن معظمها مبنية على فروض واحتمالات، وكم نسمع في الصحف والجرائد، وفي المؤتمرات العلمية أن نظريةً كانت حقيقةً علميةً ثابتةً صارت نظريةً غير علميةٍ. فكيف يخضع الدين الحنيف المنزل من الرحمن الرحيم الخالق للبشر، والعالم بهم جملةً وتفصيلًا، لتفسيراتٍ وتأويلاتٍ بناءً على نظرياتٍ متغيرةٍ ومتبدلةٍ؟

أيضًا: أن معارف العصر كلها ليست قائمةً على حقائق مجردة، معتمدةً على المشاهدة والتجربة والاستنتاج، بل مزجت وخلطت بتصورات ونظريات تسيطر عليها الروح الإلحادية المادية، وكذا تصورات عن ديانات قديمة أو ديانات محرفة, وما خرج عن معياره يعتبره من الخرافات والأساطير، والأوهام والتخيلات التي لا حاجة إليها في عصر العلم والتقدم والرقي. فالدين في نظرهم صحيح ما دام لا يتعارض مع التطور، مع أن الحقيقة «التطور صحيح ما دام لا يتعارض مع الدين».

---

[88]() الإسلام في عالم متغير، لأبي الحسن علي الندوي، (ص: 57)، وينظر كتاب: مفهوم تجديد الدين، (205-206) بتصرف.

فلذا نرى على المتخصصين في الأمة أن يصوغوا معارف العصر كلها بصياغة إسلامية، ويعيدوا كتابتها وتدوينها تدوينًا إسلاميًا من جديد في ضوء مفاهيم الدين وداخل إطاره.

ونود أن نشير هنا إلى نكتة هامة؛ وهي: أن الجيل الحاضر إذا قرر أن يعرض عن كل ما أنجزته الأجيال الماضية من عمل وجهد، وأن يؤسس له بناءً جديدًا، على قواعد جديدة، فإن للأجيال الآتية بعده أن تتخذ قرارًا سفيهًا مثل هذا، وتعرض عن هذه الجهود, فهل هذا رأي سديد؟ وموقف سليم تجاه العلم؟ وهل يقول به أحد من العقلاء؟ بل إن العاقل هو من يتقدم إلى الأمام مضيفًا إلى الأعمال السابقة أعمالًا جديدةً، وهكذا لا يزال يتقدم بخطى حثيثة في ميدان الكمال والارتقاء.

يقول الشيخ بسطامي سعيد: «إن رفض الفكر لمجرد أنه نشأ في عصور ماضية، ولمجرد كونه قديمًا، قول لا صلة له بالعلم، وبعيد عن الموضوعية، مهما صدر عمن يتحلى بأفخم الألقاب العلمية، إن الفكر لا يمكن أن يقبل أو يرفض باعتبار الزمان والمكان الذي ظهر فيه، ولكن يرفض إذا قدمت الأدلة على خطئه، فإذا ثبت أن الفكرةَ صحيحةٌ كانت صحيحةً ولو ظهرت في أحقاب ما قبل التاريخ، وإذا ثبت أن الفكرة خاطئة فهي خاطئة ولو أعلنها عباقرة العصر الحاضر»([89]).

إن المعيار الصحيح الوحيد لإدراك المصالح ودرء المفاسد في الشريعة والتقدم والتطور هو: القرآن, وما صحّ عن رسول الله غ من السنة؛ كما أشير إلى هذا الأصل العظيم في قوله غ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ»([90]). وقال النبي غ: «مَنْ عَمِلَ

---

[89]() مفهوم تجديد الدين، بسطامي سعيد، (214).

[90]() الموطأ للإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، برقم: (1619)، (ص: 648).

عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[91].

والعقل الثاقب، والبصيرة النافذة، والفهم السليم، يساعد الإنسان في إدراك المحاسن والمفاسد المتفق عليها في جميع الشرائع. قال تعالى مقررًا ضرورة إعمال العقل والتفكر في الميادين التطبيقية: (ﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗ) [سورة محمد: 24]. وقال تعالى: (ﮩﮪﮫﮬﮭﮮ) [سورة يوسف:2], وقال تعالى: (ﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮ) [سورة الأنبياء:67]، وغيرها من الآيات كثيرة.

❐ الشريعة جاءت لمصالح العباد:

ومن القواعد المقررة: أن الشريعة الغراء جاءت لمصالح العباد ودرء المفاسد عنهم، فقد أنزل الله على عبده ونبيه محمد غ شريعةً كاملةً وشاملةً تراعي تلك المصالح العائدة عليهم في دنياهم وأخراهم، قال تعالى مبينًا هذه الحقيقة: (ﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊ) [سورة المائدة: 6].

فأخبر سبحانه وتعالى أنه لم يأمرهم بذلك حرجًا عليهم وتضييقًا ومشقةً؛ ولكن إرادة تطهيرهم وإتمام نعمته عليهم ليشكروه على ذلك, فله الحمد كما هو أهله، وقال تعالى: (ﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠ)[سورة النساء:28].

وفي الحديث قوله غ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**»[92].
وقوله غ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»[93].

وقوله غ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ, وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ, فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا, وَأَبْشِرُوا, وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِن الدُّلجَةِ»[94].

---

[91]() صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم: (1718)، (ص: 762). وينظر ما كتبته حول هذا الحديث في رسالة: «حديث: تركت فيكم أمرين ...».

[92]() جامع الترمذي، كتاب الطهارة، باب: ما جاء في البول يصيب الأرض، برقم: (147)، (ص: 41), وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[93]() صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: ما كان النبي غ يتخولهم بالموعظة والعلم، برقم: (69)، (ص: 17).

[94]() صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: الدين يسر، برقم: (39)، (ص: 9-10).

وقوله غ:«لِتَعْلَمَ يَهُودُ أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً, إِنِّي أُرْسِلتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ»([95]).

فالشريعة الغراء راعت مصالح العباد في كل شيء؛ لأنها رحمة كلها، وجاءت من الرحمن الرحيم، يقول ابن القيم :: «وإذا تأملت الشريعة التي بعث الله بها رسوله حق التأمل وجدتها من أولها إلى آخرها شاهدةً بذلك، ناطقةً به، ووجدت الحكمة والمصلحة والعدل والرحمة باديًا على صفحاتها، مناديًا عليها، يدعو العقول والألباب إليها، وأنه لا يجوز على أحكم الحاكمين ولا يليق به أن يشرع لعباده ما يضادّها، وذلك لأن الذي شرعها علم ما في خلافها من المفاسد والقبائح والظلم والسفه الذي يتعالى عن إرادته وشرعه، وأنه لا يصلح العباد إلا عليها، ولا سعادة لهم بدونها البتة»([96]).

يقول الإمام ابن حزم: «إذا ورد النص من القرآن أو السنة الثابتة في أمر ما على حكم ما، ثم ادعى مدعٍ أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل، من أجل أنه انتقل ذلك الشيء المحكوم فيه عن بعض أحواله أو لتبدل زمانه، أو لتبدل مكانه، فعلى مدعي انتقال الحكم من أجل ذلك أن يأتي ببرهان من نص قرآن أو سنة عن رسول الله غ ثابتة على أن ذلك الحكم قد انتقل أو بطل ، فإن جاء به صح قوله، وإن لم يأت به فهو باطل فيما ادعى من ذلك، والفرض على الجميع الثبات على ما جاء به النص ما دام يبقى اسم ذلك الشيء المحكوم فيه عليه؛ لأنه اليقين، والنقلة دعوى وشرع لم يأذن الله تعالى به، فهما مردودان كاذبان حتى يأتي النص بهما»([97]).

ويقول :: «فإن قيل: وما الدليل على تمادي الحكم مع تبدل الأزمان الأمكنة؟ قلنا وبالله التوفيق: البرهان على ذلك: صحة النقل من كل كافر

---

[95]() مسند الإمام أحمد، برقم: (25962)، (43/ 115). وإسناده حسن.
[96]() مفتاح دار السعادة لابن القيم، المجلد الأول، (2/ 23).
[97]() الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري، (5/ 590).

ومؤمن على أن رسول الله غ أتانا بهذا الدين، وذكر أنه آخر الأنبياء وخاتم الرسل، وأن دينه هذا لازم لكل حي، ولكل من يولد إلى يوم القيامة في جميع الأرض، فصحّ أنه لا معنى لتبدل الزمان، ولا لتبدل المكان، ولا لتغير الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبدًا، في كل زمان وفي كل مكان وعلى كل حال، حتى يأتي نص بنقله عن حكمه في زمان آخر أو مكان آخر أو حال أخرى. وكذلك إن جاء نص بوجوب حكم في زمان ما، أو مكان ما، أو في حال ما، وبين لنا ذلك في النص، وجب أن لا يتعدى النص، فلا يلزم ذلك الحكم حينئذ في غير ذلك الزمان، ولا في غير ذلك المكان، ولا في غير تلك الحال، قال تعالى: (ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ) [سورة الطلاق:1]»([98]).

وبناءً على هذا ندرك أن القرآن والسنة - وهي نصوص الإسلام الأصلية الموحاة- محفوظة بكل حروفها وألفاظها ومعانيها، وهذا الحفظ يجعل للإسلام -وهو الرسالة الإلهية الأخيرة للبشرية ـ ميزةً وخاصيةً فريدةً بشموليته وصلاحيته للتطبيق، ولسعادة البشرية إلى أن تقوم الساعة دون تغيير أو تحريف أو تأويل لنصوصه تأويلًا يخرج عن القواعد والضوابط الشرعية.

وعلى هذا نعلم أن التجديد للدين ينطلق من تلك الأصول الثابتة المقررة التي لا تتبدل ولا تتغير، وأن دعوى تغييرها، أو تعطيلها، أو الانحراف بمعانيها، وجعل الزمن حاكمًا عليها خروج بها عما أراد الله تعالى لها من إعمال في الحياة البشرية، ومن إسعاد للبشرية كلها.

وأن التجديد الحق للدين يتم بالمحافظة على هذه الأصول، وإعمالها في الواقع، منطلقًا منها، محكمًا لها في جميع جوانب الحياة كلها، وعندما تندرس معالم الدين أو بعضها، ويحييها مصلح، أو يحيي جانبًا منها في

---

[98]() المرجع السابق، (5/ 591-593).

النفوس، وفي شعب الحياة، هذا هو التجديد.

فعلم بهذا بطلان الشائعات والدعاوى التي تنبعث بين الفينة والأخرى محاولةً إبطال الدين، وإهمال نصوصه، وتأويلها، ونسف قواعده، والاعتماد على العقل البشري القاصر في إسعاد البشرية.

□◄◄ ►►□

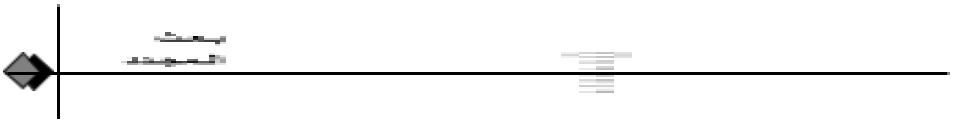

الوقفة السابعة

هل المجدد رجل واحد أو أكثر؟

هذه المسألة اختلف فيها العلماء كثيرًا، فمنهم من قال: إن المراد به رجل واحد؛ وهذا رأي عدد من العلماء، ونسبه السيوطي إلى الجمهور فقال: وكونه فردًا هو المشهور قد نطق الحديث والجمهور.

وقد صنَّف السيوطي في بيان أسماء المجددين لكل قرن أرجوزةً سماها: «تُحْفَة المُهْتَدِينَ بِأَخْبَارِ المُجَدِّدِينَ»[99].

كما أن هناك رأيًا آخر، وهو: القول بالعموم؛ بأنه يجوز أن يكون أكثر من فرد، وقد ذهب إليه كثير من العلماء.

قال ابن الأثير في جامع الأصول في شرح قوله: «من يجدد لها دينها»: «قد تكلّم العلماء في تأويل هذا الحديث، كل واحد في زمانه، وأشاروا إلى القائم الذي يجدِّد للناس دينهم على رأس كل مائة سنة، وكأن كل قائل قد مال إلى مذهبه، وحمل تأويل الحديث عليه، والأولى أن يحمل الحديث على العموم، فإن قوله غ : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» لا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلًا واحدًا، وإنما قد يكون واحدًا، وقد يكون أكثر منه، فإن لفظة «من» تقع على الواحد والجمع، وكذلك لا يلزم منه أن يكون أراد بالمبعوث: الفقهاء خاصةً، كما ذهب إليه بعض العلماء، فإن انتفاع الأمة بالفقهاء، وإن كان نفعًا عامًا في أمور الدين، فإن انتفاعهم بغيرهم أيضًا كثير مثل أولي الأمر، وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، وأصحاب الطبقات من الزهاد، فإن كل قوم ينفعون بفن لا ينفع به الآخر؛ إذ الأصل

---

[99]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 264- 265)، وفيض القدير للمناوي، (2/282).

في حفظ الدين حفظ قانون السياسة، وبث العدل والتناصف الذي به تحقن الدماء ويتمكن من إقامة قوانين الشرع، وهذا وظيفة أولي الأمر، وكذلك أصحاب الحديث ينفعون بحفظ القراءات وضبط الروايات، والزهاد ينفعون بالمواعظ والحث على لزوم التقوى والزهد في الدنيا، فكل واحد ينفع بغير ما ينفع به الآخر، لكن الذي ينبغي أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلًا مشهورًا معروفًا مشارًا إليه في كل فن من هذه الفنون، فإذا حمل تأويل الحديث على هذا الوجه كان أولى، وأبعد من التهمة، وأشبه بالحكمة...إلى أن قال: فالأحسن والأجدر أن يكون ذلك إشارةً إلى حدوث جماعة من الأكابر المشهورين على رأس كل مائة سنة، يجددون للناس دينهم»([100])، ثم ذكر بشيء من الإيجاز بعض من كانوا مشهورين من الفقهاء والمحدثين والقراء وأولي الأمر إلى زمانه إلى نهاية القرن الخامس... ([101]).

وقال الحافظ في الفتح في شرح هذا الحَدِيث: «أَنَّهُ لَا يَلزَم أَنْ يَكُون فِي رَأْس كُلّ مِائَة سَنَة وَاحِد فَقَطْ، بَل يَكُون الأَمْر فِيهِ كَمَا ذَكَرَ فِي الطَّائِفَة وَهُوَ مُتَّجَه, فَإِنَّ اجْتِمَاع الصِّفَات المُحْتَاج إِلَى تَجْدِيدهَا لَا يَنْحَصِر فِي نَوْع مِنْ أَنْوَاع الخَيْر, وَلَا يَلزَم أَنَّ جَمِيع خِصَال الخَيْر كُلّهَا فِي شَخْص وَاحِد, إِلَّا أَنْ يُدَّعَى ذَلِكَ فِي عُمَر بْن عَبْد العَزِيز, فَإِنَّهُ كَانَ القَائِم بِالأَمْرِ عَلَى رَأْس المِائَة الأُولَى بِاتِّصَافِهِ بِجَمِيعِ صِفَات الخَيْر وَتَقَدُّمه فِيهَا; وَمِنْ ثَمَّ أَطْلَقَ أَحْمَد أَنَّهُمْ كَانُوا يَحْمِلُونَ الحَدِيث عَلَيْهِ, وَأَمَّا مَنْ جَاءَ بَعْده فَالشَّافِعِيّ وَإِنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ الجَمِيلَة, إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُن القَائِم بِأَمْرِ الجِهَاد وَالحُكْم بِالعَدْلِ, فَعَلَى هَذَا كُلّ مَنْ كَانَ مُتَّصِفًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عِنْد رَأْس المِائَة هُوَ المُرَاد سَوَاء تَعَدَّدَ أَمْ لَا»([102]).

---

[100]() جامع الأصول لابن الأثير، (11/320-321).
[101]() ينظر: جامع الأصول لابن الأثير، (11/322-324).
[102]() فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، (13/295).

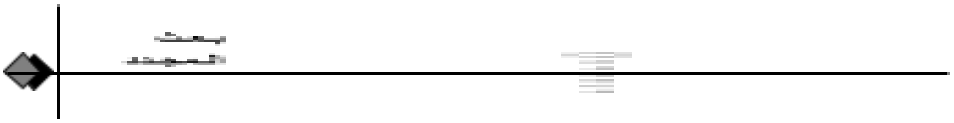

- وقال الحافظ ابن كثير: «الصحيح أن الحديث يشمل كل فرد من آحاد العلماء من هذه الأمصار ممن يقوم بفرض الكفاية في أداء العلم عمن أدرك من السلف إلى من يدركه من الخلف»([103]).

- وقال المناوي: «ولا مانع من الجمع، فقد يكون المجدد أكثر من واحد»([104]).

- وقال السهارنفوري نقلًا عن الشيخ محمد يحيى: «(من يجدِّد لها دينها)، أي: نوعًا منهم وأشخاصًا، فلا يلزم أن يكون واحدًا بالشخص، وإن ذهب العلماء في معنى الحديث إلى الذي نفينا، ووجه ما ذهبنا إليه أنه لا ينطبق على كثير ممن تشرف بالتجديد أن يكون جدّد كل نوع من أنواع الدين، فكم من محدث ليس له من تجديد الفقه نصيب، وكم من باعث على أعمال حسنةٍ هو في نشر أقسام العلوم غريب، مع أنه لم يسمع أن أحدًا من هؤلاء عمّ حديثه وفقهه جملة الأقطار، وتشرفت بتجديده- بحسب الظاهر-جملة القرى والأمصار. وأما ما قلنا فالأمر سهل، مع أن كلمة (من) ليست نصًا في الشخص الواحد... ولا يبعد أن يكون لكل مملكة وبلدة من معظم الممالك مجدد على رأس مائة»([105]).

- وقال العظيم آبادي: «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَلْزَم أَنْ يَكُون عَلَى رَأْس كُلّ مِائَة سَنَة مُجَدِّد وَاحِد فَقَطْ, بَل يُمْكِن أَنْ يَكُون أَكْثَر مِنْ وَاحِد»([106]). وذكر أسماء بعض من يظنهم من المجددين([107]).

فمن أقوال هؤلاء العلماء الأعلام نستخلص إلى القول: بأن حمل هذا الحديث على الجماعة أولى؛ كما حمل النووي «الطائفة الباقية على الحق،

---

[103]() البداية والنهاية لابن كثير، (6/89).
[104]() فيض القدير للمناوي، (1/11).
[105]() بذل المجهود شرح سنن أبي داود، للسهارنفوري، (17/202-204).
[106]() عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي، (11/ 264).
[107]() المرجع السابق، (11/ 265).

في حديث: «لَا تَزَال طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقّ, لَا يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ, حَتَّى يَأْتِي أَمْر الله وَهُمْ كَذَلِكَ»[108] أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، فقال: وَيَحْتَمِل أَنَّ هَذِهِ الطَّائِفَة مُفَرَّقَة بَيْن أَنْوَاع المُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ شُجْعَان مُقَاتِلُونَ, وَمِنْهُمْ فُقَهَاء, وَمِنْهُمْ مُحَدِّثُونَ, وَمِنْهُمْ زُهَّاد, وَآمِرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَنَاهُونَ عَن المُنْكَر, وَمِنْهُمْ أَهْل أَنْوَاع أُخْرَى مِن الخَيْر, وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُونُوا مُجْتَمِعِينَ بَل قَدْ يَكُونُونَ مُتَفَرِّقِينَ فِي أَقْطَار الأَرْض»[109].

يقول الشيخ بسطامي سعيد: «وإن كان لي أن أبدي رأيًا في هذه القضية، فإن رأي تعدد المجددين في العصر الواحد يبدو أقرب للقبول؛ لأنه لا يمكن الادعاء أن واحدًا فقط في أي عصرٍ من العصور قد تمتع بمؤهلات فريدة لا يشاركه فيها غيره، كما لا يمكن الادعاء أن واحدًا فقط في أي عصرٍ من العصور قد عمّ تجديده جميع مجالات الدين، وإن كان من ناحية أخرى لا أظن أن عدد المجددين في كل قرن يصل إلى ذلك العدد الكثير الذي أحصاه ابن الأثير»[110].

وهذا من شأنه أن يجعل كل مؤمن صادق الإيمان حريصًا على أن يقوم بدوره في عملية التجديد، فالقضية ليست شخصًا ينتظر كما ينتظر المهدي، أو عيسى ابن مريم عليه السلام، بل واجبًا منوطًا في عنق كل داعية وكل مسلم[111].

وبناءً على ما مرّ فالذي يظهر-والله أعلم-: أن القول بأن التجديد لا ينحصر بواحد. هذا هو الأقرب للصواب؛ لتعدد مجالات التجديد، كالتجديد في العلوم، والتجديد في الدعوة، والتجديد في القيام بشؤون الأمة، وفي

---

[108]() صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: قوله غ: «**لا تزال طائفة من أمتي**»، برقم: (1920)، (ص: 857).

[109]() شرح صحيح مسلم للنووي، (13/ 67).

[110]() مفهوم تجديد الدين، (ص: 44).

[111]() التجديد في الإسلام، (ص: 44).

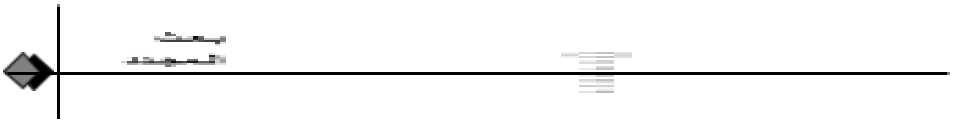

الجهاد، وغيرها، وكذا لاتساع رقعة الإسلام -ولله الحمد- فيمكن أن يجدد مجدد في بقعة، والآخر في بقعة أخرى وهكذا, وهذا لا يعارض منطوق الحديث, فـ(مَنْ) قد تكون للواحد، وقد تكون للجماعة.

وهذا القول يجعل سعةً لأهل العلم-عقيدةً، وفقهًا، وتفسيرًا، وحديثًا، وغيرها- ولأهل الدعوة، وأهل السياسة، والاقتصاد، أن يدلي كل منهم بدلوه، ويسهم بما منحه الله تعالى من الإمكانات والقدرات. فلعلك أخي القارئ تكون منهم.

□◄◄ ►►□

الوقفة الثامنة

صفات المجدد

ليس هناك ضابط شرعي دقيق لتحديد أوصاف المجدد، وللجزم بأن فلانًا من المجددين، ولكن العلماء تكلموا عن بعض الأوصاف التي لا بد من اتصاف المجدد بها، وذكروها في كتبهم، ولذلك نرى خلافًا كثيرًا في تعداد المجددين وتحديدهم؛ لأن سبيلَ ذلك الظنُّ والاستقراءُ، والظن قد يخطئ وقد يصيب، وقابل للجدل والنقاش، فلذا لا مجال للادعاء بأن شخصًا بذاته هو المقصود بالحديث؛ وإن كان قد يستأنس بأوصاف حميدة، وأعمال عظيمة، وجهود طيبة بأن فلانًا من المجددين.

يقول الشيخ شمس الحق العظيم آبادي: «وَلَا يُعْلَم ذَلِكَ المُجَدِّد إِلَّا بِغَلَبَةِ الظَّنّ مِمَّنْ عَاصَرَهُ مِن العُلَمَاء بِقَرَائِن أَحْوَاله وَالِانْتِفَاع بِعِلمِهِ؛ إِذ المُجَدِّد لِلدِّينِ لَا بُدّ أَنْ يَكُون عَالِمًا بِالعُلُومِ الدِّينِيَّة الظَّاهِرَة وَالبَاطِنَة، ناصِرًا لِلسُّنَّةِ, قَامِعًا لِلبِدْعَةِ, وَأَنْ يَعُمّ عِلمه أَهْل زَمَانه, وَإِنَّمَا كَانَ التَّجْدِيد عَلَى رَأْس كُلّ مِائَة سُنَّة لِانْخِرَامِ العُلَمَاء فِيهِ غَالِبًا, وَانْدِرَاس السُّنَن، وَظُهُور البِدَع, فَيُحْتَاج حِينَئِذٍ إِلَى تَجْدِيد الدِّين, فَيَأْتِي الله تَعَالَى مِن الخَلق بِعِوَضٍ مِن السَّلَف إِمَّا وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا»([112]).

---

[112]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 263).

❐ وفيما يلي ذكر لبعض صفات المجدد وشروطه:

صفات المجدد:

إن الصفات والضوابط التي ذكرها العلماء على قسمين؛ منها ما يرجع إلى المواهب والصفات الذاتية، ومنها ما يرجع إلى الأعمال التي يقوم بها في حياته، ومدى الانتفاع به, وآثاره التي تركها في عصره.

فمن الصفات الذاتية: أن يكون ذا مواهب كثيرة، وسجايا متعددة، ومن ذلك أن تكون له ملكات عقلية، وقدرات فكرية، وأن يكون ذا قدم راسخ في العلوم، وله باع طويل فيها, مع النظر الثاقب الذي يستطيع به نقدها، وتمييز صحيحها من سقيمها، أو بعبارة أخرى: «أن تكون له الأهلية لقيادة الفكر في عصره».

وأن يكون المجدِّد مجتهدًا؛ لأن المشكلات التي تتولد في كل عصر لا بد لها من وضع الحلول في ضوء الشريعة.

وأن يضطلع بعمل من الأعمال التي تدخل تحت مسمى التجديد، سواءً كان ذلك في المجال الفكري؛ ببث الآراء، وإفشاء العلم بالتدريس والتأليف، أو في المجال العملي بإصلاح سلوك الناس وتقويم أخلاقهم.

وأن تكون جهوده الإصلاحية ذات تأثير بين في اتجاهات الفكر والعلم وفي حياة الناس.

ومن المعايير لمعرفة تأثير المجدد: ما يتركه من خلفه من أصحاب وتلاميذ وكتب ومصنفات، أو بعبارة أخرى أن يتكون في حياة المجدد ومن بعده اتجاه علمي وعملي متميز([113]). هذا ما ذكره الشيخ بسطامي سعيد، وعبارات السلف تشير إلى هذه المعاني.

قَالَ القَارِي فِي المِرْقَاة: «يُبَيِّن السُّنَّة مِن البِدْعَة, وَيُكْثِر العِلم, وَيُعِزّ

---

[113]() ينظر: مفهوم تجديد الدين، للشيخ بسطامي محمد سعيد، (ص: 32-34).

أَهْله, وَيَقْمَع البِدْعَة, وَيَكْسِر أَهْلهَا».

وقال العظيم آبادي: «فَظَهَرَ أَنَّ المُجَدِّد لَا يَكُون إِلَّا مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالعُلُومِ الدِّينِيَّة, وَمَعَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ عَزْمه وَهِمَّته آنَاء اللَّيْل وَالنَّهَار إِحْيَاء السُّنَن, وَنَشْرهَا, وَنَصْر صَاحِبهَا, وَإِمَاتَة البِدَع وَمُحْدَثَات الأُمُور, وَمَحْوهَا, وَكَسْر أَهْلهَا بِاللِّسَانِ, أَوْ تَصْنِيف الكُتُب وَالتَّدْرِيس, أَوْ غَيْر ذَلِكَ, وَمَنْ لَا يَكُون كَذَلِكَ لَا يَكُون مُجَدِّدًا البَتَّة, وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِالعُلُومِ, مَشْهُورًا بَيْن النَّاس, مَرْجِعًا لَهُمْ»([114]).

قال المناوي واصفًا المجدِّد: «قائمًا بالحجة، ناصرًا للسنة، له ملكة رد المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته واقتضاءاته من قلب حاضر وفؤاد يقظان»، وقال أيضًا: «وذلك لأن الله سبحانه لما جعل المصطفى خاتمة الأنبياء والرسل وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد ومعرفة أحكام الدين لازمةً إلى يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها، بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها اقتضت حكمة الملك العلام ظهور قرم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث إجراءً لهذه الأمة مع علمائهم مجرى بني إسرائيل مع أنبيائهم»([115]).

وقد ذكر السيوطي بعض صفات المجدد وشروطه في قصيدته المشهورة:

وَالشَّرْط فِي ذَلِكَ أَنْ تَمْضِي المِائَة ... وَهُوَ عَلَى حَيَاته بَيْن الفِئَة
يُشَار بِالعِلْمِ إِلَى مَقَامه ... وَيَنْصُر السُّنَّة فِي كَلَامه
وَأَنْ يَكُون جَامِعًا لِكُلِّ فَنّ ... وَأَنْ يَعُمّ علمه أَهْل الزَّمَن
وَأَنْ يَكُون فِي حَدِيث قَدْ رُوِي ... مِنْ أَهْل بَيْت المُصْطَفَى وَقَدْ قَوِي
وَكَوْنه فَرْدًا هُوَ المَشْهُور ... قَدْ نَطَقَ الحَدِيث وَالجُمْهُور

---

[114]() ينظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، (11/ 263).
[115]() فيض القدير للمناوي، (1/10).

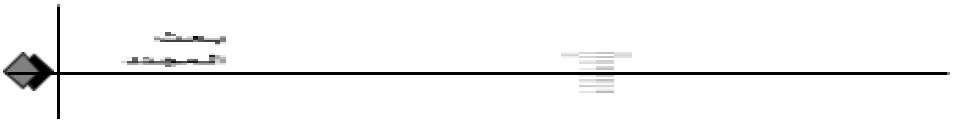

o وبالمناسبة فإنه لم يدَّعِ فرد ولا جماعة من المسلمين على مر العصور أنهم هم المجدِّدون للمائة الفلانية، وإنما كان المسلمون وعلماؤهم يتوسمون في فلان أنه المجدّد للمائة الفلانية، لِمَا يجدون من أعماله المؤَثِّرة في تصحيح ما اعوجّ من حياة المسلمين، ونشر السنة، وقمع البدعة، ورجا الحافظ السيوطي أن يكون هو مجدّد المائة التاسعة، ولم يجزم.

إذن: فأقوال المجدّد وأفعاله في النصح والتغيير والاهتمام بأمور المسلمين، التي يظهر أثرها الواضح في حياة المسلمين؛ هي التي تجعل المسلمين يغلّبون الظن بأنَّ فلانًا، أو تلك الجماعة هي المجدّدة للمائة الفلانية(116). ولنأخذ مثالًا من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فإنه اعتبره العلماء المجدّد للمائة الأولى، ومع ذلك فإنه لم يدّع ولو مرةً في حياته أنه المجدّد للمائة الأولى.

o ومما ذكره أهل العلم من الأوصاف: أن المجتهد لا يتهجم على من سبقه من العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على أصولهم التي أصّلوها، وفتاواهم التي أفتوا بها، بل يكون حريصًا على اتباع سنن رسول الله غ، ويسترشد بهدي من جاء بعده من الصحابة والتابعين ومن السلف الصالحين، يقول عمر بن عبد العزيز: «سنّ رسول الله غ وولاة الأمر بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنّوا اهتدى، ومن استبصر بها بصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاّه الله ما تولى، وأصلاه جهنم، وساءت مصيرًا»(117).

o ومن أوصافه: أنه يسير على منهج واضح؛ منهج الصحابة

116() مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، للدكتور محمود الطحان، (ص: 11).

117() الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، (1/ 173).

والتابعين ومن جاء بعدهم من العلماء الربانيين، ويستنير بالأصول التي أصّلوها؛ كعلم أصول الفقه، وعلم أصول الحديث، وعلم التفسير وغيرها.

o **كما أن المجدد** ينبغي أن يتصور أنّ له من التأثير الممتد زمانًا ومكانًا ما يجعله حيًا في الأجيال التابعة بعلمه وعمله، وإن كانت حياته الدنيوية قد انتهت، فنرى أن ما تميّز به عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى هو أعمال إيجابية في مجال العلم والتطبيق، فمثلًا: تميّزت ولايته بالعدل الذي يلفت النظر، وإعادة الحقوق إلى أصحابها، لاسيما في الأمور المالية العامة، وإلغاء الامتيازات الأسرية الحاكمة التي بدأ بها بنو أمية، فسوّى بين الناس جميعًا في الحقوق، فبدأ بنفسه، ثم بزوجته، ثم بذويه، وهكذا حتى عمّ العدل، وانتشر الغنى بين جميع فئات المجتمع، وكذلك أعماله الحسنة، وجهوده القيِّمة في تدوين السنة وجمعها وتدوين علومها.

o **وهكذا نرى أن أبرز من اشتهروا بالتجديد،** ووصفهم المسلمون بأنهم مجـدّدون؛ أنهم لم يدَّعوا ولم يجزموا يومًا ما أنهم مجددون لزمانهم، كما أنهم سلكوا منهجًا واضحًا.. منهج الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من السلف الصالحين، ولم يتّهموا السلف بما يُنقص من شأنهم وقدرهم في الأمة، بل قدروهم بما يستحقون, وأنزلوهم على منازلهم، وكذلك لم يغيّروا الأصول العلمية الثابتة المتفق عليها في الأمة من أصول الحديث والفقه والتفسير وغيرها، بالإضافة إلى شهرتهم بالعلم الواسع بالشريعة الإسلامية في شتى علومها وفنونها، والاجتهاد والورع، وبعد النظر والجرأة في نشر السنة وقمع البدعة.

ومما سبق لعلّنا نستنتج أن أهم صفات المجدِّد الإجمالية ما يلي:

1- أن يكون ذا علم شرعي شمولي، أو مختصصًا في جانب منه؛ كالتخصص في التفسير، أو الحديث، أو الفقه أو غيرها، ويبرز في ذلك.

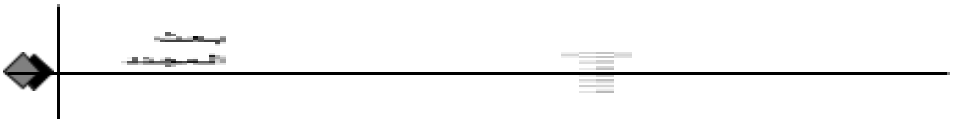

2- أن يظهر أثر علمه على من تتلمذ عليه، وعلى عامة الناس، وعلى من بعده من خلال تلاميذه، أو وصاياه، أو تأليفه، ونحو ذلك.

3- أن يكون التمسك بالعبادات والأخلاق والسلوك ظاهرًا عليه في جميع شؤون حياته، ويُشهد له بذلك.

4- أن يكون منهجه في حياته العلمية والعملية والدعوية منهجًا واضحًا مبنيًا على الكتاب والسنة متبعًا لا مبتدعًا.

□◄◄ ►►□

الوقفة التاسعة

من مجالات التجديد: التجديد في الوسائل

إن الدين ثابت لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال، والنصوص الإلهية محفوظة بحفظ الله ورعايته، لا يطرأ عليه التغيير والتبديل، وإن حاول أحد النيل من هذا الدين الحنيف فسيقيِّض الله من يكشف عن هذا الزيغ والضلال، كما قام جهابذة العلماء قديمًا وحديثًا فأزاحوا عنه الباطل, وبينوا الصواب من الخطأ، وميزوا الخبيث من الطيب، وهذا هو التجديد الذي بشر به نبينا محمد غ ، فاتضح مما سبق أن التجديد لا يكون في مبادئ الدين وأسسه، بل في الوسائل والطرق التي يكشف بها عن الحقيقة؛ وقد استعمل العلماء في القديم الوسائل المتاحة لهم، وفي زمننا قد منّ الله علينا بابتكارات علمية جديدة، وتقنيات هائلة عديدة, يمكن استعمالها في الدعوة ونشر الدين إلى جميع آفاق الكون، فاستعمال هذه التقنيات والابتكارات في المجال الدعوي يعتبر من التجديد، ولذا سنركز في هذه الوقفة على الكلام عن التجديد في وسائل الدعوة، حيث إن استعمال هذه الوسائل في الدعوة والتوجيه -مع عدم إغفال الجوانب الأخرى- يعتبر من التجديد.

وقبل التفصيل نود أن ننبه هنا إلى قاعدة هامة في الدعوة وغيرها، وهي: أن الغاية لا تبرر الوسيلة, فلا تبلغ دعوة الله بوسائل محرمة, أو غير شرعية؛ كالغناء المحرم, أو التجريح والغيبة. فنرى كثيرًا من الفِرَق الإسلامية, والحركات الدينية, قد ضلّوا السبيل, وجانبوا الطريق القويم, وانحرفوا عن جادة الصواب, بسبب تطرقهم إلى وسائل غير مشروعة, وأوضح مثال على ذلك بعض طرق الصوفية, فقد اختاروا الوسائل المحرمة كالغناء والرقص وغيرها, فلعب الشيطان بعقولهم, فضلّوا وأضلّوا الناس عن الدين الحق، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا, والله

المستعان!

من التجديد: اتخاذ الوسائل المناسبة والأساليب المفيدة في الدعوة:

الوسيلة: القربة, توسل إليه: تقرب إليه, وهي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود, وفي المجال الدعوي؛ هي الطريقة التي توصل بها الدعوة, أو هي ما يستعين بها الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله على نحو نافع مثمر([118]).

والأسلوب: عرض ما يراد عرضه من أفكار ومعاني وقضايا.

فالرسول غ قام بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل المختلفة, والأساليب المتنوعة, فيجب على الداعية اتخاذ هذه الوسائل المفيدة, والسير على تلك القواعد الدعوية المهمة, التي سار عليها النبي غ , لكي تؤتي ثمارها. ويقيس ما جدّ منها عليها.

- أولاً: وسائل التبليغ:

أ- **التبليغ بالقول:** أن يستعمل الإنسان الكلام والنطق في الدعوة، وله أنواع؛ منها: الخطبة, والدرس, والمحاضرة, والمناقشة, والنصيحة الفردية وغيرها([119]).

ب- التبليغ بالكتابة: من وسائل التبليغ, التبليغ بالكتابة؛ والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل إلى المدعوين لدعوتهم إلى الدخول في الإسلام, أو إلى الصلاح من الفسوق والفجور والمعاصي وغيرها.

وإما أن تكون تأليف الكتب, وإعداد البحوث والمقالات، ونشرها في المجلات وغيرها, وترجمتها إلى لغات العالم. وهي من الوسائل المفيدة جدًا في الدعوة.

---

[118]() ينظر: كتاب أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، (ص: 429).
[119]() المرجع السابق، (ص: 452-460).

ج- التبليغ بالفعل(بالقوة): وهذا لمن له سلطة على الآخرين, فإذا رأى منكرًا في من تحت يده, منعهم بالقوة, وأزال المنكر.

د- التبليغ بالعمل: ونقصد به إقامة مشروع دعوي من بناء مسجد, أو مدرسة, أو مكتب دعوي, أو مركز إسلامي, وهكذا. فالنبي غ كان يلقي الدروس في المسجد, ويلقى الوفود فيه، ويوجه الصحابة منه, فبناء مثل هذه المشاريع من الوسائل المفيدة للدعوة.

هـ- التبليغ بالقدوة: من الوسائل المهمة الدعوية التبليغ بالقدوة, فالسيرة الطيبة للداعية, وأفعاله الحميدة, وأخلاقه الحسنة؛ أسوة طيبة، وقدوة نموذجية لغيره من المدعوين, ودعوة عملية للإسلام؛ لأن التأثر بالأفعال, أبلغ من التأثر بالكلام.

- ثانيًا: أساليب الدعوة:

وأساليب الدعوة المذكورة في الكتاب والسنة كثيرة، ومنها:

أ- أسلوب الترغيب: والقصد من الترغيب استعمال كل ما يشوق إلى الاستجابة, وقبول الحق, والثبات عليه, لنيل رضا الله ورحمته وجزيل ثوابه في الآخرة.

ب- أسلوب الترهيب: نقصد بالترهيب التخويف من غضب الله وبطشه وعقابه وعذابه في الآخرة؛ فهذا الأسلوب يحذر العباد من عاقبة عصيان الخالق, أو التفريط في حقوق العباد، والداعية الحصيف هو الذي يجمع بين الترغيب والترهيب كما جمع الله تعالى ذلك في القرآن، ولا يطغى أسلوب على آخر، فإن طغى الترغيب تساهل الناس في المعاصي، وإن طغى الترهيب أيس الناس وقنطوا من رحمة الله، والموفق من جمع بينهما.

ج- أسلوب التعليم: إن العلم ضروري لكل فرد من أفراد المجتمع، وبالأخص للمسلمين الجدد, فإذا حصلت الاستجابة من المدعو وقبل

الدعوة، وجب على الداعي أن يعلِّمه بما يحتاج من علم شرعي للقيام بمسؤولياته, فقد ثبت عن النبي غ أنه حينما أسلم عمير بن وهب قال لأصحابه: «فقهوا أخاكم في دينه، وأقرئوه القرآن»([120]).

د - التربية بالحدث: بمعنى أن الإنسان تمر عليه أحداث ووقائع، فينبغي للداعي أن يستغلها للتربية، ومن ذلك التزود بالصبر والتقوى اللذين هما عدة المؤمن للتغلب على الصعاب, فقد سار النبي غ وأصحابه على هذا في غزواته.

هـ التربية بأعمال القلوب: أعمال القلوب كثيرة فمثلًا الإخلاص؛ فهو عمل قلبي تظهر آثاره على الجوارح، وكذا المحبة، واليقين، وذروة اليقين ما فعله النبي غ في مواقف من أعظمها: موقف الحديبية؛ حين قال: «إني رسول الله ولن يضيعني الله»([121]).

و- التربية بالأخلاق: التربية على الأخلاق الطيبة كالشجاعة, والكرم, والوفاء, والصدق في القول، وعدم الكذب, والخيانة, والغدر وغيرها.

هذه بعض الوسائل والأساليب التي إذا استعملها الداعية في دعوته يفيد الأمة كثيرًا بإذن الله.

- ثالثًا: من التجديد: المنهجية في الدعوة:

■منها: التخطيط السليم في الدعوة :

إن الدعوة إلى الله كأي عمل آخر تحتاج إلى تخطيط سليم، وتدبير دقيق, ويترتب عليه نجاح الدعوة وفشلها بعد إرادة الله تعالى، وكان الرسول غ يسير في دعوته بتخطيط مدروس, وهذا واضح في سيرته الدعوية كلها, بل كان يسير بعناية الله تعالى, فنرى مثلًا واقعة الهجرة,

---

[120]() السيرة النبوية لابن هشام , (2/308).

[121]() صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب: إثم من عاهد ثم غدر، برقم: (3182)، (ص:530)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية، برقم: (1785)، (ص: 796).

كيف خطّط تخطيطًا دقيقًا حتى وصل برعاية الله تعالى إلى المدينة سالمًا بدون أن يصيبه أحد بأذى. وهكذا يجب أن تسير الدعوة في جميع مشاريعها على مستوى الداعية الفرد، وعلى مستوى الدعوة بأكملها.

التخطيط السليم والمنهجية في الدعوة من أسباب النجاح في الدعوة؛ لأن الدين دين الله تعالى، ولن تغلق الأبواب كلها، بل إن سدّ له باب انفتح له باب آخر، ومن ثم فلا ييأس الداعية من العوائق، بل يحسبها من مقدمات النجاح.

■ومنها: المحاسبة والتقويم:

يلزم للدعوة أن تحاسب نفسها بعد كل فترة, وتقوّم عملها وأهدافها ومشاريعها بين حين وآخر, هل طرأ على أفرادها كلل أو فتور؟ وهل هم على جادة الصواب أم جانبوها؟ وهل هم مستمرون على المنهج السليم أو اختاروا المنهج الفاسد؟ وما هي الثمار التي اقتطفوها خلال هذه المدة؟ وما هي النتائج التي استثمروها في دعوتهم؟ وكما يلزم هذا التقويم أي مشروع دعوي، فيلزم كل فرد داعية لأجل أن يكون ذلك عاملًا في استمراره في دعوته.

■ومنها: التوازن بين المتطلبات العقلية والروحية والجسمية, في البيت, والشارع, والميدان, والمدرسة، فرسول الله غ كان يشارك أهله، ويقود الجيش, ويقوم الليل, وهكذا في جميع الأمور، فلنا في رسول الله أسوة حسنة.

وينبني عليه عدم الغلو أو التقصير, أو الإفراط أو التفريط، كما قال تعالى عن صفات عباده: (ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ) [سورة الفرقان:67]. فيجتنب الإفراط والتفريط في الدعوة، فلا يقصر ولا يتجاوز الحد، والطريق الوسط هو المطلوب في جميع الأمور، وكما نعلم أن خير الأمور أوسطها.

وإن الشريعة كاملة وشاملة فلا تفرق بين الدين والدنيا، بل جميع الأعمال تصير عبادةً بنية التعبد لله لأ، ولذلك علَّمنا الرسول بأن نهتم بجميع الأمور التي تحتاجها الأمة، ونسأل الله العافية والحسنة في هذه الدنيا وفي الآخرة، في الحديث عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ غ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً, وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً, وَقِنَا عَذَابَ النَّار**»([122]).

يقول ابن حجر: «قَالَ عِيَاض: إِنَّمَا كَانَ يُكْثِر الدُّعَاء بِهَذِهِ الآيَة لِجَمْعِهَا مَعَانِي الدُّعَاء كُلّه مِنْ أَمْر الدُّنْيَا وَالآخِرَة, قَالَ: وَالحَسَنَة عِنْدهمْ هَاهُنَا النِّعْمَة, فَسَأَلَ نعيم الدُّنْيَا وَالآخِرَة وَالوِقَايَة مِن العَذَاب, نَسْأَل الله تَعَالَى أَنْ يَمُنّ عَلَيْنَا بِذَلِكَ وَدَوَامه»([123]).

وَقَالَ الشَّيْخ عِمَاد الدِّين ابن كَثِير: «فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا، وصرفت كل شر، فإن الحَسَنَة فِي الدُّنْيَا تَشْمَل كُلّ مَطْلُوب دُنْيَوِيّ؛ مِنْ عَافِيَة, وَدَار رَحْبَة, وَزَوْجَة حَسَنَة, وَرِزْق وَاسِع, وَعِلم نَافِع, وَعَمَل صَالِح, وَمَرْكَب هَنِيء, وَثَنَاء جَمِيل إِلَى غَيْر ذَلِكَ, مِمَّا شَمِلَتْهُ عِبَارَات المفسرين، ولا منافاة بينها، فَإِنَّهَا كُلّهَا مُنْدَرِجَة فِي الحَسَنَة فِي الدُّنْيَا, وَأَمَّا الحَسَنَة فِي الآخِرَة: فَأَعْلَاهَا دُخُول الجَنَّة, وَتَوَابِعه مِن الأَمْن مِن الفَزَع الأَكْبَر فِي العَرَصَات, وَتَيْسِير الحِسَاب, وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أُمُور الآخِرَة, وَأَمَّا الوِقَايَة مِنْ عَذَاب النَّار فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِير أَسْبَابه فِي الدُّنْيَا مِن اجْتِنَاب المَحَارِم والآثام، وَتَرْك الشُّبُهَات والحرام»([124]).

كما جمع النبي غ مسألة صلاح الدين والدنيا في أدعية كثيرة، منها هذا الدعاء المروي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله غ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي, وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا**

---

[122]() صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب: قول النبي غ : ربنا آتنا في الدنيا حسنة، برقم: (6389)، (ص: 1109).

[123]() فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، (11/192).

[124]() تفسير القرآن العظيم لابن كثير، (1/355-356).

مَعَاشِي, وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي, وَاجْعَل الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ, وَاجْعَل المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»[125].

فعلى الداعي أن يوجد توازنًا بين الدعوة وأمور الدنيا، فإن أهمل الدعوة خسر الآخرة، وإن أهمل الدنيا فلعله يبتلى بفقر مدقع فلا يصبر، والأمر بينهما.

■ومنها: اختيار أقوى الطرق تأثيرًا إلى قلب المدعو بحسب ما تيسر من الوسائل:

وقد أشير إلى قاعدتها في هذه الآية الكريمة، قال تعالى: (ﮋﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [سورة النحل:125].

فأمر الله نبيه أن يدعو الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن؛ برفق, ولين, وحسن خطاب، كما قال تعالى: (ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [سورة النحل:125].

ومن الحكمة: العمل بها بمعرفة المكان والزمان والحال التي يمارس فيها الدعوة؛ فالحكمة وضع الشيء في موضعه، وقد أمر الله تعالى نبيه بها، فقال تعالى: (ﮋﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [سورة النحل:125].

ومن الحكمة: اغتنام الفرصة المناسبة للدعوة، وهذا ما نجده في قصة يوسف حين جاءه الفتيان وقصَّا عليه رؤياهما واستفسرا التعبير, فاغتنم الفرصة ودعاهم إلى التوحيد والبراءة من الشرك قبل أن يخبرهما بالتعبير. قال تعالى: (ﮋﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ) [سورة يوسف:39-40].

■ومنها: اختيار المكان المناسب للدعوة، كما كان النبي غ يختار

---

[125]() صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، برقم: (4897)، (ص: 1181).

المسجد لتوجيه الصحابة إلى الخير, فيختار الداعية لدعوته المسجد, أو مكانًا هادئًا, بعيدًا عن الأسواق والشوارع التي فيها شغب وصخب، أو أمكنة الملاهي، ونحو ذلك.

■ومنها: اختيار الموضوع المناسب للدعوة؛ لأن لكل فنٍ رجالًا, ولكل مقامٍ مقالًا, فيختار الموضوع المناسب للمقام, حتى لا يثقل على المدعوين, وبالتالي يفقد استجابتهم لكلامه.

■ومنها: مراعاة أحوال المدعوين, هل هم الجمهور من العوام, أو النخبة المثقفة منهم، أو من الطلاب, أو الطالبات, أو الأطباء, أو الدعاة وهكذا. فيلزم الداعية إعطاء كل ذي حق حقه، في نوعية الخطاب والكلام، فالرجال يختلفون عن النساء، والصغار يختلفون عن الكبار، وهكذا.

■ومنها: تنوع البرامج: البرامج الدعوية إذا كانت على نمط واحد فإن المدعو قد يمل، لذا لا بد من تقديم البرامج المتنوعة، فإنها تشد انتباه المستمعين، وتترك أثرًا عميقًا في قلوبهم ومن ثمّ على سلوكهم. وأن تكون على فترات متباعدة مخافة السآمة؛ كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ الله يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ, فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ؟! قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ, وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالمَوْعِظَةِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ غ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا([126]).

قال النووي: «وَفِي هَذَا الحَدِيث: الاقْتِصَاد فِي المَوْعِظَة؛ لِئَلَّا تَمَلّهَا القُلُوب فَيَفُوت مَقْصُودهَا»([127]).

■ومنها: تقدير المصالح والمفاسد الشرعية، فيعمل للمصالح وتكثيرها، ويدرأ المفاسد ويقللها. وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشرع،

---

[126]() صحيح البخاري، كتاب العلم، باب: من جعل لأهل العلم أيامًا معلومةً, برقم: (70)، (ص:17).

[127]() شرح صحيح مسلم للنووي، (17/ 164).

وأصل عظيم من أصوله، فيتنبه إليه.

وقد ترك النبي غ بعض الأشياء مراعاة المصلحة العامة، فعلى سبيل المثال: هدم الكعبة وبناؤها من جديد، فعَنْ عَائِشَةَ ل زَوْجِ النَّبِيِّ غ أَنَّ رَسُولَ الله غ قَالَ لَهَا: «**أَلَمْ تَرَيْ أَنَّ قَوْمَكِ لَمَّا بَنَوا الكَعْبَةَ اقْتَصَرُوا عَنْ قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ, فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَلَا تَرُدُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ؟ قَالَ: لَوْلَا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِالكُفْرِ لَفَعَلْتُ**»[128] الحديث.

يقول السندي: «(لَوْلَا حِدْثَان) أي: لَوْلَا قُرْبُ عَهْدهمْ بِالكُفْرِ, يُرِيد أَنَّ الإِسْلَام لَمْ يَتَمَكَّن فِي قُلُوبهمْ فَلَوْ هُدِمَتْ لَرُبَّمَا نَفَرُوا مِنْهُ؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ تَغْيِيره عَظِيمًا»[129].

ومما يساعد على العمل بهذه الوسائل: صحبة العلماء الربانيين والدعاة الصادقين: بحيث يشدون أزره، ويقوونه على تجاوز العقبات، وإن اتخاذ الصحبة الطيبة من الوسائل المعينة على التحمس للدعوة، وتجاوز العقبات؛ لأن المرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه الصالحين، والرجل الصالح لا ترى منه إلا خيرًا؛ ففي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى ا، عَن النَّبِيِّ غ قَالَ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ؛ فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً, وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[130].

وهم القوم لا يشقى جليسهم، فعلى الداعية أن يختار صحبتهم؛ لكي يتقوى بهم في مسيرته الدعوية.

❐ رابعًا: ومن التجديد استخدام الوسائل المستجدة في الساحة:

إن الزمن الذي نعيش فيه عصر التقنية والاختراعات العلمية، فهذا

---

[128]() صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: فضل مكة وبنيانها, برقم: (1583)، (ص: 257).
[129]() شرح سنن النسائي للسندي، المجلد الثالث، (5/ 214).
[130]() صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، برقم: (5534)، (ص: 984).

فضل من الله تبارك وتعالى وحده، وهذه الاختراعات والابتكارات والتقنية الهائلة قد سهلت كثيرًا من الأمور في عالمنا اليوم، ويعيش الإنسان حاليًا في عصر يسهل عليه الحصول على أي مادة أو معلومة في وقت قياسي قصير وبأسرع الطرق.

وهذه التقنية يمكن استعمالها في الخير وفي الشر، ولكن ما نراه في واقعنا اليوم أن أعداءنا يستعملونها في الشر وفي إفساد الشعوب الإسلامية دينيًا وخلقيًا، مما أحدث فجوةً بين الإسلام وبين العاملين بها، وبالأخص بين الشباب الذين هم الثروة النابضة للأمة، وما نراه من الاعوجاج الخُلقي، والبعد عن الدين، والاغترار بالحضارة الغربية المادية ما هو إلا أثر من آثار استعمال هذه التقنية الجديدة في الشر وفي الإفساد، فالمفروض أن تكون هذه التقنية نعمة، ولكن جعلناها نقمةً، فالله المستعان!

فلذا نقول: إن أي وسيلة جديدة يجب الإفادة منها, لا مطلق الاندفاع للجديد, ولا مطلق الرد لاستنكار الجديد. وإذا اجتهد مجتهد فرأى أن استعمال هذه الوسائل في الدعوة له أثر محمود، وعنده أدلة في هذا الأمر، فالذي نرى: عدم الاستعجال في الحكم مع عدم لوم المجتهد مادام أنه اجتهد مع بيان الدليل.

وفيما يلي نعرض بعض الوسائل الجديدة التي يمكن استعمالها في المجال الدعوي, فمنها:

■استعمال وسائل التوصيل في المجال الدعوي: ومنها السيارات المسرعة، والقطارات والطائرات والبواخر وغيرها، ومن ثم إيصال الكلمة إلى الناس، وكذالك إرسال الكتب والرسائل والمطويات وغيرها إلى المستفيدين. وبالفعل بدأ بعض مكاتب الجاليات يستعمل السيارات التي يسمونها «السيارات الدعوية» حيث توجد فيها كمية كبيرة من الكتب والمطويات والرسائل والنشرات، وتوزع في المواسم مثل موسم الحج،

وموسم رمضان وغيرها، وهذا شيء محمود، ونود أن يكثر استعمالها في مثل هذه النشاطات، ويطور إلى الأفضل.

■الجوال الدعوي: يمكن استعمال هذه الوسيلة الحديثة في المجال الدعوي في التوجيه والنصح والإرشاد إلى من يملك الجوال، وبإرسال رسائل قصيرة تشتمل على التوجيه والتذكير، وفي أيامنا هذه نادرًا ما يوجد شخص الذي لا يحوز على جوالٍ، فيا حبذا لو استعملناه في المجال الدعوي، وبالأخص بعض شركات مزودي الخدمة تغري المستخدمين بإعطاء مدة من الزمن للمكالمات مجانًا، وكذلك كمية غير قليلة من الرسائل المجانية، لذا نرى لزامًا على الجميع وبالأخص على الدعاة أن يغتنموا هذه الفرصة، ويستعملوها في ما يعود نفعها على الأمة في الدنيا وفي الآخرة.

■استعمال الإنترنت: الشبكة العنكبوتية العالمية التي تسمى «الإنترنت» وسيلة حديثة، غزت كل بلد وكل قرية بل وكل بيت ولعله كل فرد، وهي أيضًا «سلاح ذو حدين»، فمن الناس من يستعملها في الخير, ومنهم من يستعملها في الشر، ومنهم من يستعملها في المباح، ومنهم من يستفيد منها فوائد مادية وتجارية وغيرها، فالدعوة أحرى أن تستخدم هذه الوسيلة العظيمة النفع.

ولعل من الفائدة أن نذكر: استشعارًا بأهمية هذه الوسيلة واستخدامها في المجال العلمي والمجال الدعوي قمنا بافتتاح موقعٍ متخصصٍ للسنة التي تهتم بالسنة وعلومها، والسيرة النبوية والشمائل المحمدية([131]).

■البريد الإلكتروني: وهذه الوسيلة تأتي ضمن الإنترنت، ويمكن استعمالها في المجال الدعوي، متمثلًا في إرسال الرسائل الدعوية واستقبالها من الآخرين، والاستفتاء من المشايخ عبر هذه الوسيلة، وكذا

---

[131]() عنوان الموقع: www.Alssunnah.com - www. Alssunnah.net .

النصائح, والتوجيهات, والتنبيهات, والمراسلات الخاصة, والفوائد وغيرها.

■استعمال شاشة التلفزيون: كما نعلم أن التلفزيون سلاح ذو حدين، وإن كان أغلب استعماله في هذه الأيام في الشر، ولكن يمكن أن يستعمل في الخير كثيرًا، وبالأخص أن كثيرًا من الناس يستقبلون القنوات الأجنبية لأنهم لا يجدون بديلًا جيدًا عنها، فإذا وجدوا بديلًا عنها لما تطرقوا إليها.

ولا شك أن استعمال هذه الوسيلة يحتاج إلى صاحب علمٍ وورعٍ وذكاءٍ في كيفية استعمالها وفق الضوابط الشرعية، ولكن في الحكم بمنعها على العموم منع لكثير من الفوائد، وحرمان لوصول الخير إلى كثير من أفراد الأمة، ومرةً أخرى أكرّر أن هذا الحكم ليس على إطلاقه بل وفق ضوابط وشروط معتبرة عند المحققين من علماء هذه الأمة.

ويمكن استعمالها في المجال الدعوي من نواحي كثيرة، منها: نشر الدروس، والمحاضرات، وأمثالها، والأناشيد، وكذا المناسب شرعًا من التمثيل، والصور الإلكترونية، ونشر الصور الحية لمواسم الحج وموسم رمضان، وكذلك نشر الصلوات الخمس وصلاة وخطبة الجمعة من الحرمين, وغيرها كثير مما يكون أثرها واضحًا على المشاهد.

ومن القواعد الفقهية: «تقديم المصلحة الراجحة على المفسدة المرجوحة». والأدلة عليها من الكتاب والسنة كثيرة، فعن أم كُلثُومٍ بِنْت عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ, أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ الله غ يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ, وَيَقُولُ خَيْرًا وَيَنْمِي خَيْرًا**». قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: «وَلَمْ أَسْمَعْ يُرَخَّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: الحَرْبُ, وَالإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ, وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا»[132].

فرخّص النبي غ الكذب في هذه المواقع الثلاثة؛ لأن مصلحة الحرب،

---

[132]() صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكذب وبيان ما يباح منه، برقم: (2605)، (ص: 1137).

والإصلاح بين الناس، وبين الزوجين أرجح من مفسدة الكذب. والإسلام يحرص على الوفاق والوئام؛ لأنه يستنتج منه فوائد كثيرة، كما يحذر من التفرقة والخلاف؛ لأنه يؤدي إلى مفاسد عظيمة.

ومثله في عالم اليوم: كأن يعمل الداعية أو المربي لمشروعٍ تربويٍ ولو أدى إلى مفسدة مرجوحة، لكن إذا كانت المصلحة من هذا المشروع ظاهرة فيقدم، وعلى هذا كثير من أحكام الشريعة، ومنها استعمال شاشة التلفزيون في المجال الدعوي، بأن تقام محطات خاصة لهذا الغرض، أو تستفاد من المحطات الموجودة في الساحة إن كانت الفرص متاحة، وخلت المشاركة من المحظورات الشرعية.

■ استعمال الإذاعة المسموعة:

إن استعمال الإذاعة المسموعة أيضًا من الوسائل الحديثة, ولكنها أقدم مقارنةً بالإنترنت والتلفزيون، ولكن مما لاشك فيه أن التطور والتقنية ما زالت مستمرةً فيه، فيمكن أن نستفيد منه في الدعوة بإقامة محطات الإذاعة الخاصة للدعوة، أو تستفاد من الإذاعات الأخرى التي تهيئ الفرصة لاستغلالها في الدعوة. والحمد لله كثير من المشايخ بدءوا يستعملون هذه الوسيلة في المجال الدعوي، حيث تنشر لهم دروس ومحاضرات وكلمات توجيهية وغيرها من المشاركات البناءة التي تفيد الأمة في دينها ودنياها، ومن المعلوم أنه يوجد أقطار متعددة من العالم الإسلامي لا يوجد فيها ولو إذاعة محلية.

■ النشرات, والمطويات, واللوحات، والبطاقات وأمثالها:

هذه الوسائل من الأدوات ذات التأثير البين على مستويات متعددة، وتستميل عقول الفئة المثقفة وغير المثقفة، ويمكن الإبداع والتجديد في تطويرها وتنويعها، ووصولها إلى أقاصي الدنيا، بأساليب متنوعة ولغات متعددة، فتدخل كل بيت وتبقى عند كل فرد سهلة الحمل.

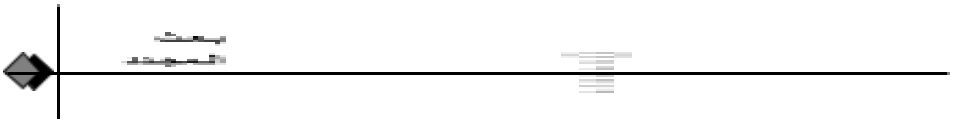

ما ذكرنا هي بعض الوسائل المستجدة في الساحة التي يمكن استخدامها في المجال الدعوي، لكي يعم النفع وينشر الخير، وتثبت الحجة، وتكون كلمة الله هي العليا, والله عزيز حكيم.

وأحسب أن هذه الوسائل والأساليب وأمثالها إذا طورت واستخدمت بأنواع الاستخدامات أنها من التجديد الجزئي في وسائل الدعوة، فيعم فيها النفع والخير، ويظهر أثرها الإيجابي، فيكون صاحبها من المجددين فيها.

وبعد: فما سبق هو إلماحة لشيء من وسائل التجديد في الدعوة ووسائلها وأساليبها، ولعلي ألمح هنا إلى بعض المقترحات في مجال التجديد بعامة في مجالات متعددة:

1- **إنشاء مراكز بحوث ودراسات متعددة الجوانب تعطي دراسات،** ومن ثم خلاصات لما تحتاجه الدعوة والمسلمون بعامة، والبشرية أجمع، هذه الخلاصات تفيد اختصار الجهود والوقت.

2- **إنشاء مجامع علمية متخصصة ذات مستوى متعدد النفع،** يكون من مهامها: تلخيص العلوم، وتشجيع الإبداع، ونشر البحوث الشرعية المتميزة، ووضع جوائز كبيرة المعنى، كجائزة الملك فيصل، وجائزة الأمير نايف للسنة النبوية، وغيرها.

3- **تطوير المجامع الفقهية لتعمل باستمرار لبحث النوازل المعاصرة** سياسية - اقتصادية - اجتماعية- فضلًا عن العقدية والفقهية بعامة، حتى لا نترك المجال للاجتهادات الفردية المستعجلة.

4- **الإبداع في استخدام التقنية** لخدمة العلوم الشرعية والاجتماعية.

5- تربية عدد من طلاب العلم النابهين المبدعين الذين يُرجى نفعهم على مستوى الأمة بكاملها.

6- **تشجيع الإبداع في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية**

وغيرها، سواء في تطوير بعض الوسائل، أو في إيجاد مجالات لحل المشكلات الصغرى على مستوى الأفراد، والكبرى على مستوى المجتمعات.

□◄◄ ►►□

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على النبي الخاتم، المبعوث رحمةً للعالمين، الذي أخرج الله به البشر من الظلمات إلى النور، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وبعد:

فقد تجولنا في رحاب هذا الحديث الشريف الذي يحتوي على معاني عظيمة، ومفاهيم عالية، وبشائر خيرة، وفضائل عميمة لهذه الأمة؛ **ومما اقتطفنا به من الثمار اليانعة لهذا الحديث:**

o **أن الإسلام دين الله لأ تكفل الله بحفظه،** فهو باقٍ إلى يوم الدين، لا يعتريه نقص ولا زيادة، فإن حاول أحد النيل منه، فإنه يهيئ أقوامًا يصدون لهذا الزيغ، ويكشفون النقاب عن الباطل، حتى يظهر للناس أبيض نقيًا كما أنزل على محمد بن عبد الله غ ؛ لذا يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد هذا الدين؛ فإنها وقت مظنة ذهاب العلماء, واندراس السُّنَن، وظهور البدع؛ فيحتاج حينئذٍ إلى تجديد الدِّين, فيأتي الله تعالى من عباده بمن يُظهر هذا الدين بصورته النقية إلى العالم، وينفي عنه تحريف الغالين, وانتحال المبطلين, وتأويل الجاهلين.

o **وأن النبي غ كان حريصًا على المؤمنين رءوفًا رحيمًا بهم،** حيث بين لهذه الأمة ما تحتاج إليه في دينها ودنياها، وبلّغ شريعة الله إليهم بكاملها، وبشرهم بأن هذا الدين غالب إلى يوم القيامة، وهو يعلو ولا يعلى عليه؛ كما قال تعالى: (ئۇئۇئۆئۆئۇئۇ ئى ئې ئې ئى ئى ئى ی ی ی ئج) [سورة الفتح:28].

o وأن هذه الأمة من أفضل الأمم، ولها فضائل جمة، وأنها آخرة في الدنيا، ولكنها سابقة في الآخرة، وأنها أكثر أهل الجنة عددًا، وغيرها من

الفضائل كثير.

o ومن فضائل هذه الأمة: أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وقد تكلمنا عن معنى التجديد لغةً واصطلاحًا، وعن بعض المفاهيم الخاطئة في التجديد، وعن أوصاف المجدد، وعن وقت بعث المجدد، وهل هو واحد أو أكثر؟ فبيَّنَّا أن وقت بعث المجدد هو رأس مائة سنة؛ لأنه مصرّح به في النص، وليس لنا أن نصرف هذا النص إلى معنى آخر إلا بدليل، وليس عندنا دليل يصرفه عن هذا، وأما المجدد فهو واحد أو أكثر؟ فالذي ظهر لنا بعد إمعان النظر في النص، أنه يمكن أن يكون المجدد أكثر من واحد؛ لأن جميع المجددين الذين ذكروا لم يكونوا مختصين في جميع المجالات، بل كان كل واحدٍ منهم مختصًّا في بعض الجوانب، وإن كانت هذه المسألة ليست من المسائل التي يضر فيها الاختلاف.

o كما تطرقنا إلى البحث عن شمولية الشريعة، وأن هذه الشريعة تحثّ على الاختراعات والابتكارات بخلاف النصرانية، التي نصبت العداء ضد العلم والعلماء في القرون الوسطى، وأما الإسلام فقد حثّ على العلم والتعلّم والتعليم من يوم أول ما نزل الوحي؛ وهو قوله تعالى: (ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒ) [سورة العلق:1- 5].

o وقبل الختام: تحدثنا بشيء من الإيجاز عن التجديد في وسائل الدعوة، مع بيان الحكم لاستخدام الوسائل المستجدة في الساحة، والحث عليها، مع بعض المقترحات العامة في مجال التجديد، ثم الخاتمة.

o **وبعد أخي القارئ الكريم**: هل يمكن أن تكون من المجددين؟ وهل هذه غاية بعيدة المنال؟ ولا يمكن الوصول إليها؟ أحسب أن الموفق أمثالك بالنية الخالصة، والعزم الصادق، والجدّ في العمل، والتخطيط السليم، ووضوح الرؤية، والخُلق الفاضل، والحلم والصبر والتحمل، والتجرد من

(الأنا)، ومحبة الآخرين، وتحديد الهدف أو الأهداف، والبعد عن حظوظ النفس الأمارة بالسوء، وصدق التعبد لله لأ.

أقول: أحسب أن من تجتمع فيه هذه العوامل حريٌّ أن يكون من المجددين بعد توفيق الله جل وعلا، وعلى الموفق أن ينوي ويبدأ العمل، وسيكون التوفيق حليفه بإذن الله، فابدأ وفقك الله، وسددك، وبلّغك أمنيتك.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلها من المدخرات في الحياة وبعد الممات, حقق الله الآمال وسدد الخطى، وعلمنا ما ينفعنا، ونفعنا بما علمنا؛ إنه عليم حكيم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه
أ. د. فالح بن

محمد بن فالح الصغيّر
المشرف العام على موقع شبكة السنة وعلومها

faleh@alssunnah.com

□◄◄ ►►□

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	5
نص الحديث	8
الوقفة الأولى: تخريج الحديث	9
الوقفة الثانية: شرح مفردات الحديث	12
الوقفة الثالثة: المعنى الإجمالي للحديث	14
الوقفة الرابعة: بعض فضائل هذه الأمة	21
الوقفة الخامسة: معنى التجديد	29
ويتبين من هذا المفهوم، أن للتجديد معالم أساسية	32
مفاهيم خاطئة للتجديد	33
موقف العلماء من هذه الفئة	35
من عناصر التجديد	39
التجديد والاجتهاد	44
التجديد يناقض الابتداع	44
الوقفة السادسة: التجديد وتأويل النصوص	48
الشريعة جاءت لمصالح العباد	53
الوقفة السابعة: هل المجدد رجل واحد أو أكثر؟	57
الوقفة الثامنة: صفات المجدد	62
وفيما يلي ذكر لبعض صفات المجدد وشروطه	63
الوقفة التاسعة: من مجالات التجديد: التجديد في الوسائل	68
من التجديد: اتخاذ الوسائل المناسبة والأساليب المفيدة في الدعوة:	69
أولاً: وسائل التبليغ	69
ثانيًا: أساليب الدعوة	70

ثالثًا: من التجديد: المنهجية في الدعوة 72
رابعًا: ومن التجديد استخدام الوسائل المستجدة في الساحة 77
الخاتمة 84
الفهرس 87

□◄◄ ►►□